الغزو الجرمانى للجزر البريطانية (٥٥٠ – ٨٥١م)

أ.د. أسامة إبراهيم حسيب ابراهيم (*)

إن بريطانيا العظمي التي عزاها الرومان جزئيا احتفظت تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية بثلاثة شعوب متميزة تماما وهي الكالدونيون Caledonians (البكت الاسكتلنديين)، وعاشوا في منطقة الشمال فيما يعرف – بإسكتلندا الآن- والتي لم يتغلغل فيها الرومان اللجريان -Legrians- وفي الجنوب والشرق , عاش الليجريان الذين تأثروا إلي حد كبير بالحضارة الرومانية – وفي الغرب إلي جانب نهر السفرن – Severn – عاش الكمبريانيون –Cambrians – أو الولش – Welsh – وهم شعب جبلي عنيد صعب المراس ، وخاصة في معاقله الجبلية لا يمكن هزيمته[١] . وكان البكت دائما ما ينزلون من مرتفعات اسكتلندا ويشنون هجمات رهيبة ومنظمة ضد الجنوب ، وطوال الفترة التي سيطر فيها الرومان علي الجزر البريطانية ، تمكنوا إلي حد كبير من صدهم , ولكن عندما سحب الإمبراطور الغربي هونوريوس قوات الإمبراطورية الرومانية من الجزر البريطانية لمواجه تكتلات البرابرة الجرمان ، وخاصة تهديدات زعيم القوط الأريك ، ضاعت سيطرة الإمبراطورية علي الجزر البريطانية ، وأختل التوازن العسكري داخل وخارج الإمبراطورية الرومانية[٢].

فقد تعرضت الإمبراطورية الرومانية مع بداية القرن الخامس الميلادي للعديد من المشكلات ، وخاصة المشكلات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والصراعات الداخلية ، وأن كانت المشكلة الرئيسة هي تعرض الإمبراطورية للأخطار الخارجية ممثلة في غزوات البرابرة والجرمان . فقد استطاع القوط اكتساح روما ٤٠٩م ، ومع هجمات البرابرة بدأ الانهيار والتفكك يدب في أوصال الإمبراطورية الرومانية ، وساءت أحوالها السياسية والاقتصادية ، وافتقدت روما سيطرتها علي بريطانيا ، وبدأ الانسحاب الروماني سنة ٤١٨م ، واستمر حتي

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب – جامعة سوهاج.

١ - أسامة إبراهيم حسيب : معركة هاستنجز ١٠٦٦م / ٦ ساعات فاصله في تاريخ إنجلترا وفرنسا، المكتب العربي للمعارف ،٢٠٠٧, ط١، صـ٦.

- Laud ,Chronicle The Anglo Saxon , London ,1972, p.3.

٢ - أسامة إبراهيم حسيب : المرجع السابق ، صـ٦-٧.

- English Historical Documents. , vole 1, ed Whitlock, London, 1975 pp.148 -150 ; Bede, op. cit., pp.37-40.

اكتمل نهائيا سنة ٤٤٢م بانسحاب أخر جندي روماني من بريطانيا ، للتفرغ للدفاع عن الإمبراطورية الرومانية ضد الغزوات الجرمانية [١].

في الوقت نفسه كان الإرهاق والتعب قد حل بالليجريان والكمبريين من جراء الهجمات وتناقص عددهم ، وعجزوا عن كسب مساعدة القوات الرومانية - التي تفرغت للدفاع عن حدودها ضد الجرمان– واضطروا للدفاع عن أنفسهم , واختاروا رئيسا من عامة الشعب عاش في لندن وتولي الدفاع عن الأقطار ، وكان اختيار هذا الرئيس مصدرا للشقاق لأن الليجريان والكمبريين تنازعوا حول من هو أحق بمثل هذا المنصب العظيم في بريطانيا [٢].

وخلال هذه الأحداث اجتاحت جماعات البكتين pictis - (الاسكتلنديين) والسكوتس -Scots – (الايرلنديين) وبعض القبائل الجرمانية بريطانيا . ومن المرجح أن البكتس قدموا بسفنهم من منطقة سيزيا – غرب البحر الأسود- وكانوا يأملون في الاستقرار في إيرلندا ، ولكن الايرلنديين رفضوا السماح لهم بالإقامة في بلادهم ، بحجة أن ايرلندا مساحتها صغيرة لا تستوعب إعداد أخري غير سكانها الأصليين .... وأجبر الايرلنديين الغزاة للاتجاه شرقا إلي جزيرة بريطانيا . وإبحر البكتيون إلي الشرق واتخذوا موطنهم في الأراضي الواقعة شمال نورثمبريا – اسكتلندا فيما بعد – وتم التزاوج بين الاسكتلنديين والايرلنديين [٣].

وعندما ضاقت بهم الأرض اتجهوا إلي الجنوب ، واجتاحوا دفاعات البريطانيين المنيعة ، وقتلوا ونهبوا أعدادا كبيرة من البريطانيين وحرقوا العديد من المدن ، ولم يكن في استطاعتهم تقديم العون بسبب دخولهم في حرب قوية مع قبائل الهون [٤] . ولم يكن أمام البريطانيين سوي طلب مساعدة الجرمان السريعة ، وعلي الفور ودون إبطاء وافق الجرمان علي تقديم المساعدة علي وجه السرعة ، وجاءوا للمساعدة بأعداد ضخمة ، وعرفهم المؤرخين باسم الأنجلو – سكسون- Saxons - Anglo وهم خليط من الإنجليز والسكسون والجوت – Jutae- وقدموا من مناطق بحر الشمال المحصورة بين نهر الراين ووسط جوتلاند – Jutland - [٥].

وقد جددت عناصر الغزاة أغاراتها بعد انسحاب الجيوش الإمبراطورية الرومانية سنة ٤٤٢م . ولكن الغزاة أغاروا هذه المرة علي بريطانيا مصطحبين

---

[1] - Laud Chronicle, The Anglo Saxon, 1987, p. 11 ; English History Documents ,vole 1,ed White Lock ,London, 1987, p.152 ..

[٢] - اسامه إبراهيم حسيب : المرجع السابق، صـ٦.

[3] -Bede , op .cit. , p.38 ; laud ,op. cit., p.3.

[4] - pirenne H., Hist. of Europe from the 16 the Century, London , 1936 ,pp . 29-30 ; Bede, op.cit.,p.54 , ; Jones , the Decline of the Ancient world , London, 1975 ,pp.80-81.

[5] - Hodgkin , The Hist. of England ,Oxford,1992, p. 108 .

معهم نساءهم وأولادهم ومتاعهم بقصد الإقامة والاستقرار في بريطانيا[١] . حيث تمثل الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن السادس مرحلة أولي في تاريخ الغزوات الجرمانية لبريطانيا ، وتوالي قدوم الغزاة الإنجليز والسكسون فى حركه استيطانيه لهذه الجزيرة ، ولم يصادفوا سوي مقاومة ضئيلة من أهل بريطانيا خاصة في الجنوب الشرقي . ومكثت عناصر الغزاة في وديان الأنهار ، وأن تأجل الصدام بين الفريقين بسبب أن البريطانيين يميلون إلي سكن الجهات المرتفعة والغزاة سكن وديان الأنهار ، لهذا لم يحدث الصدام[٢]. ولكن هذا الهدوء والسلام لم يستمر طويلاً بسبب رغبة الغزاة الجرمان في التوسع ، لهذا دب النزاع بين الطرفيين . ولم يعد أمام أهل البلاد من البريطانيين سوي حمل السلاح ضد الغزاة " وكان علي الملوك الأنجلو-سكسون أن يثبتوا سلطتهم علي أهالي بريطانيا حتي يحملوا السلاح دفاعا عن أراضيهم عن طيب خاطر .

وأكد المؤرخ البيزنطي – بروكوبيوس – أن الغزاة الجرمان قدموا إلي بريطانيا في جماعتين رئيستين هما : الإنجليز والفريزيان – Frisians– وتلك مقوله هامة يمكن قبولها الى حد كبير، وتتفق مع الأحداث والحقائق التاريخية، فالثابت أن الفريزيان، وهم سكان سواحل الشمال هولاند ، قد اندمجوا مع الإنجليز وهاجروا معاً كشعب واحد إلي بريطانيا وثمة حقيقية أكدها التاريخ الإنجليزي ، تؤكد صحة تواجد الفريزيان في صفوف الغزاة الجرمان ، واندماجهم معاً كما أسلفنا ، وأعني تطابق لغتهم مع اللغة الإنجليزية من حيث السمات الرئيسة واختلافها عن الألمانية من جهة ، والسكيندنافية من جهة أخري فالغزاة تربطهم روابط مشتركة تتمثل في وحده اللغة والعقيدة الوثنية والنظم والعادات والتقاليد . ورغم ذلك كانت علاقاتهم بعضهم البعض أكثر دموية ، فقد تصارع قادتهم علي مركز الصدارة ، وزعامة كافة الجماعات. ولعل ذلك يفسر تعدد الممالك الإنجليزية ، والتي عرفها المؤرخون بفترة الممالك السبع الهيبتاركي - Heptacrhy – ومع ذلك ، فإنهم في حالة تعرض أية مملكة لخطر ما ، كانوا سرعان ما يتناسون خلافاتهم ، ويقاتلون معا علي قلب رجل واحد ضد العدو المشترك من منطلق أنهم إنجليز (أنجلو- سكسون)[٣].

---

[1] - Trevelyan , Hist. of England , London, 1920., p.30 ; Davis , the British Les from the Earliest times to the med. Ages, in B. H, voles 2,1930, p.3502 .

[2] - Tayner , Concise Hist. of Britain, London , 1939, p.20.

[٣] - مصطفي حسن الكناني: الغزو الجرماني للجزر البريطانية ، صـ٢٩ ؛ رواس :المرجع السابق، صـ٢٠، ٢١ .

-Wilson , The Anglo Saxon , London, 1972, p.27; Stenton S.F., Anglo Saxon England, Oxford, 1984, pp.5-6.;Trevelyan ,op. cit., p.30.

وكان الملوك الأنجلو- سكسون يتمتعون بسلطات واسعة ، واستمدوها من انتسابهم إلي الآلهة ، وساعدهم في ذلك مجلس الملك أو مجلس الحكماء ومهمته انتخاب الملك من بين أفراد الطبقة الحاكمة ، وإبداء المشورة للملك ، ويجلس فيه الاساقفة وحكام المقاطعات مع الملك علي طاولة واحدة ويتعاملوا مع القضايا سواء علمانية أو كنسية ، ويتألف مجلس من رؤساء الأساقفة ورؤساء الأديرة والنبلاء والقسيسين الذين يكونون حاشية الملك ، وبهذا كان العنصر الغالب هو عنصر رجال الكنيسة ، مما أصبغ علي عملية التتويج للطقوس الدينية الشرعية . أما الطبقات الأخرى فهم الفلاحين الأحرار وغير الأحرار ، أما الإيرلات والملك هم طبقة المحاربين ومنهم تتكون فئة الأيثلنجز – Aethelings وهم أعضاء مجلس الحكماء[١] .

غير أنه مما يسترعي الانتباه انه برغم وحدة الأصول والتجانس بين العناصر الجرمانية الثلاث ، التي اشتركت في غزو بريطانيا فإن التعاون بينهم في البداية كان مفقودا ، ولم تتوحد أهدافهم ومشروعاتهم ، وربما يرجع ذلك إلي المساحات الشاسعة من المستنقعات التي كانت تفصل بين قبائلهم ، والغابات الكثيفة التي تقطع تسلسل وحدتهم وتصدهم عن الاتصال ببعضهم البعض ، ولهذا لم تصبح إنجلترا دولة متميزة إلا بعد مرور أجيال عديدة ، ومن مظاهر هذا الانقسام وعدم التعاون قيام ممالك قبلية مختلفة وهي الممالك السبع ، والتي أقامتها العناصر الثلاث المشتركة في الغزو ، حيث أقام الجوت مملكة كنت ، وكون السكسون ثلاثة ممالك هي أسكس ووسكس وسسكس ، واختص الإنجليز بالثلاثة الباقية وهي انجليا الشرقية (إيست أنجليا) ومرسيا ونورثمبريا , ولقد تقلصت هذه الممالك إلي ثلاث فقط ، وساعدت الظروف الجغرافية علي تكوين هذه الممالك ، إلا أن الحروب الداخلية عاقت الجرمان عن تطويرها [٢].

وأثناء تولي فورتيجرن –Vortigern - منصب الرئاسة في بريطانيا لم يجد وسيله للسلامة سوي استدعاء الجرمان البرابرة من سكسون وجوت وانجليز من كل أوربا لمحاربة الغزاة البكت ، وعقدوا العزم علي البقاء في بريطانيا والاستيطان بها بالقوة . ودخل الغزاة في معارك طاحنه مع أهل البلاد الاصليين من البريطانيين ، فسيطروا علي جزيرة كمبريك – Cambric – وأرهبوا بحر الشمال والجزر البريطانية [٣] .

---

[1] - Cross ,A History of England and Greater Britain, New Yorrk,1921, p.79 ; Cantor N F, The Medieval world (300-1300) , 1968 , pp. 92 -120 ; Stenton , English society , p.209 .

[٢] - محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، صـ١٢٤-١٢٥ ؛ فنشر : المرجع السابق، ق، صـ١٢٣.
- Ellis & Fisher, Hist. of England Life , vol.1,p. 65 ; Rayner ,op. cit., pp-10-11 ; Davis& Arthur , the British Isles, vol. VII, p.3737.

[٣] - أسامة إبراهيم حسيب : المرجع السابق، صـ٧.

وأكدت المصادر والوثائق استنجاد ملك البريطانيين الطاغية فورتيجرون بالقائد الروماني إيتيوس –Aetius- القائد العام للجيوش الرومانية الغربية ، الذي كان متورطا في مشاكل داخلية في الإمبراطورية الرومانية ، حيث استولي الوندال علي ولاية أفريقيا (٤٢٩- ٤٣٠م) وتم مقتل القائد العام الروماني فيلكس – Falix- (٤٢٦- ٤٣٠م) بتدبير من القائد ايتيوس الذي حرض جنوده عليه فقتلوه في رافنا سنة ٤٣٠م طمعا في أن يخلفه . ودخل أيتيوس في حرب مع خليفته الكونت بونيفاس – Bonifacius- الذي حكم ولاية افريقيا ، ولكنه أنهزم أمام بونيفاس قرب مدينة ريمني –Rimini- الإيطالية . وهرب إيتيوس إلي أحلافه الهون[١] .

وأوصي القائد عند موته زوجته وهي ثرية إسبانية بأن تتزوج من عدوه إيتيوس إذا طلب ذلك ، غير أن إيتيوس الذي عاد بجيش ضخم من الهون اضطرت معه الإمبراطورة بلاسيديا وأبنها فالنتنيان الثالث أن تصفح عن إيتيوس وتقره في منصب القيادة العامة للجيش الإمبراطوري الغربي ، وبذلك ألقت بمصيرها ومصير أبنها الإمبراطور في يد هذا القائد ، وحصل إيتيوس علي لقب "بطريق " وسار السيد الحاكم المطلق للإمبراطورية الغربية وكان باستطاعته أن يلي العرش لو أراد، ولكنه اكتفي بممارسة السلطة عمليا والسيطرة علي جميع الشئون ، وصار الإمبراطور وأمه تحت رحمته ، وحمي الإمبراطورية بقوة لما يقرب من عشرين عاما [٢] . ولما لم يكن للإمبراطور فالنتنيان أبن ، فقد طمع إيتيوس في أن يلي أبنه هو العرش ، وأتفق مع الإمبراطور المغلوب علي أمره أن يتزوج أبنه جود اتيوس من أبنه الإمبراطور وتظاهر الإمبراطور بالرضا ، ولكنه كان يبيت أمرا هو وخصمه هرقل . إذ استدرجه الإمبراطور إلي القصر في نهاية سنة ٤٥٤م في روما [٣] ، بحجة مناقشته في مسألة الزواج ، ولم يكد يدخل إيتيويس القصر حتى بادره الإمبراطور بقوله : " أعتبر أن مسألة الاتفاق السابقة بأمر الزواج كان لم يكن " وبادره الإمبراطور علي الفور بطعنه من سيفه تلتها طعنات محمومة من رجاله حتي انتهوا منه ، وكذلك فعل مع كبار رجال إيتيوس[٤].

لقد أخطأ الإمبراطور فالنتنيان الثالث (٤٢٥- ٤٥٥م) في مقتل قائده العظيم إيتيوس ، لأنه أسدي الجليل من الخدمات للإمبراطورية الرومانية، فالإمبراطور

- Bede ,op. cit ,pp.53-55 ; Stenton ,op. cit., p. 2, Laud ,op.cit.,p.13 ; Tacitus , ,op. cit., p,10 ; Roger of Wendover ,vol.1, p. 3.

[1] - Villari P.,The Barbarian Invasion of Italy , London , 1902 , pp.91-92 ; Gibbon ,op. cit.,p.326.

[2] - Edit H S. , The Hist. Organs History of the World, vol.VI , New York , 1904 , p.580 .

[3] -Hodgkin E., Italy and Her Invaders , Oxford , 1892, p. 197.

[4] -Hodgkin , op. cit , p.195 ; Ran, E k., Founders of the Middle Ages , New York , 1997 , pp. 135-150.

الضعيف شعر بان الإمبراطورية لم تعد بحاجة إلي خدمات إيتيوس ، وان الأغراض من بقائه انتهت بزوال خطر الهون ، وكسر شوكة ملكهم أتيلا في معركة شالون ٤٥١م ، ووفاته في سنة ٤٥٣م بعد أن كان حليفهم وتفوقه علي أتيلا هي التي وضعت أسمه في سجل الخالدين في التاريخ . ولقد زال خلاص الإمبراطورية الغربية بزوال شخصية القائد أيتيوس العظيم ، وبعد وفاة إيتيوس شق برابرة الغال عصا الطاعة ضد الإمبراطورية وهاجمت قبائل السكسون سواحل بريطانيا ، ودخلوا مع البريطانيين في حروب طاحنة[١] . لذلك عندما أستنجد البريطانيين بالقائد إيتيوس لم يساعدهم ، وبعد وفاته انهارت الإمبراطورية الرومانية ، ولم يعد بوسعها نجدة البريطانيين من السكسون الغزاة ، والذين قدموا إلي سواحل بريطانيا علي ظهر ثلاث سفن ضخمة محملة بالمقاتلين الأشداء في سنة ٤٤٩م في جنوب شرق بريطانيا [٢].

واتسم غزو الإنجليز والسكسون والجوت لبريطانيا بالقسوة والعنف والاضطهاد ، ولم يفقه في ذلك سوي غزو الوندال لشمال أفريقيا ، فعلي الرغم من أن بعض القرى ظلت بأيدي سكانها من البريطانيين ، وأكتفي باسترقاق أعداد من الأهالي ولاسيما النساء ، فإن هؤلاء الغزاة صرفوا همهم لانتزاع الأراضي والإمعان في القتل والتشريد لسكانها وتحويل قراهم الى قري جرمانية . وترتب علي هذه الموجه العاتية من الغزو أن تقهقرت اللغة اللاتينية وتراجعت الديانة المسيحية ، وتأخرت المدن الكبيرة ومحيت النظم الرومانية ، وقضي ما كان لروما من دلائل السيطرة والسلطان في تلك البلاد ، ولكن علي الرغم من ذلك ظلت الجزيرة البريطانية تحتفظ بعناصر سكانها القدامي ، فقد بقي الأيبيريون السمر والكلتيون الجبليون والكلتيون البريتون ، كل هؤلاء وأولئك لم تذهب بهم الريح أو تجهيز عليهم الكارثة ، بل ظلوا يمثلون عنصرا من عناصر سكان الجزر البريطانية [٣].

والحقيقة أن البريطانيين كانوا يفتقرون إلي الشجاعة ومتانة الخلق . وبعد عودة الحاميات الرومانية إلي بلادهم وعرف الغزاة من الايرلنديون والبكتيون والسكسون الإنجليز والجوت أن الرومان لن يعدوا ثانية ، لذلك استرد الغزاة أنفاسهم وساروا أكثر شجاعة من ذي قبل ، واحتلوا كل المناطق الشمالية ،

---

[1] -Soutlar R., A Short History of Med peoples , London , 1907 , pp.317-324 ; Pirenne A. Hist. of Europe from Invasions to the Century ,London , 1936 ,p.30; Edit. , Hist. .History , p. 602 ; Moss , the Birth of the Middle Ages , London , 1947, pp.47-50.

[2] -E.H.D.,vol.I,p.153 ; parker, op. cit., p.12 ; Stanton , op.cit.,p.16.

[٣] -محمد مرسي الشيخ : الممالك الجرمانية في اوربا العصور الوسطي ،الاسكندرية ،١٩٧٥م، صـ١٣٢- ١٣٣ ؛ فشر: المرجع السابق ، صـ٣٨.

-Trevelyan , op. cit.,p. 33.

والأجزاء البعيدة من الجزيرة حتي السور الذي كان يفصل بين سكان البلاد الأصليين وهناك أمر البريطانيين قواتهم المنهارة بالانتشار في حالة استعداد قصوى للدفاع ، وظلوا يقضون الليل والنهار بقلوبهم المرتجفة والمترنحة . ومن ناحية أخري لم يتوقف الأعداء المدججين بالسلاح عن قيامهم بشن هجمات محدثه الخراب والدمار ، واضطر المدافعين الجبناء إلي الانبطاح والالتصاق بالأرض وهجروا مدنهم وهربوا عبر السور , وتشتت شملهم وواصل الأعداء مطاردتهم للبريطانيين . وتبع ذلك حدوث مذبحه وحشية كبرى ، وتقطع البريطانيين البؤساء أربا علي يد أعدائهم الغزاة كما تفعل الحيوانات المتوحشة بالحملان ، واضطروا علي مغادرة ديارهم وأراضيهم الزراعية القليلة الإنتاج ، وحاولوا إنقاذ أنفسهم من المجاعة عن طريق سلب ونهب بعضهم البعض , وهكذا أضافوا نزاعهم الداخلي إلي كوارثهم الخارجية ، إلي أن صارت كل البلاد بلا طعام وخاوية علي عروشها " اللهم إلا ما يجدونه مكن صيد لسد رمقهم " ويرجع تحامل – بيده- العنصري علي شعب البريطانيين هو عدم التزامهم بالمبادئ الدينية ، وليست الاختلافات الثقافية التي تولد التحيز في العادة . وهاجمهم – بيده- لعدم بذلهم أي جهد في هداية الغزاة الجرمان إلي المسيحية برغم أنهم انتصروا عليهم ، وكذلك لعدم قبولهم التقويم الروماني ، عند هذا الحد أدانهم في تاريخه لانحلالهم ، وكان انحرافهم سبباً في أن حلت عليهن لعنة الرب وغضبه[١].

وبعد نزول الغزاة إلي شواطئ بريطانيا ، أرسل الملك البريطاني فورتيجرون إلي الشقيقين هنجست – Hengest– وهورسا –Horsa- رئيسي جماعة الغزاة الأنجلو سكسون طلبا للمساعدة ضد البكت الاسكتلنديين الغزاة وهم السكسون والجوت[٢] ، وأنزل القائدان السكسونيان هنجست وهورسا الهزيمة بالغزاة البكت ، وحصلوا علي أموال ضخمة وأراضي واسعة نظير مساعدتهم لفورتيجرون ، وسرعان ما توالي مقدم الغزاة السكسون أتباع هنجست وهورسا ، وعلي امتداد السنوات التالية لمقدم الغزاة ، ازدادت أعدادهم في صفوف البريطانيين ، وحصلوا علي المزيد من العطايا والأراضي ، والأكثر من ذلك حصلوا علي جزيرة تانت – Thanet - علي ساحل كنت مكافأة لهم علي المساعدة مع الوعد بدفع جزيه سنوية كبيرة . وبمرور الوقت تحول هؤلاء الحماه المدافعين عن الأراضي البريطانية إلي سادة ، وأخضع سكان البلاد إلي حكمهم وابتلع التنين الأبيض (الغزاة السكسون) التنين الأحمر (البريطانيين) سكان البلاد ، وكان هذان الشعاران هما شعارا الشعبين [٣] .

---

[١] - جوزيف داهموس : المرجع السابق ، صـ٦٤- ٦٥.

- Bede , History , (i-22). pp,21-22.

[2] - E.H.D. , op cit., vol .1, p. 153 ; White lock , op.cit.,p.12 ; Monmouth ,op.cit.,p.157.

[٣] - أسامة إبراهيم حسيب : المرجع السابق ، صـ٧.

ولكن إذا كان أمر الجرمان في صلب القارة قد انتهي باستقرارهم نهائيا وسط الشعب الروماني المغلوب علي أمره ، والتأثر بأوضاع هذا الشعب من النواحي اللغوية والدينية والحضارية ، إلا أن الموقف اختلف في بريطانيا حيث طرد الغزاة أمامهم أهالي البلاد الأصليين من الكلت [١].

وبعد النصر الذي حققه الغزاه السكسون طالبوا الملك البريطاني فورتيجرن بالمزيد من الأراضي والإقطاعيات ، ولكن فورتيجرن ضاق بهم وبمطالبهم المستمرة ، فتمردوا عليه وقرروا خلعه ، وقاد هنجست وهورسا قواتهما , واجتاحوا القرى والمدن البريطانية ، فأحرقوا البيوت واستباحوا النساء وقتلوا الأطفال ، فلم يعد أمام البريطانيين سوي الدفاع ، فنظموا صفوفهم وأنزلوا بالغزاة هزيمة ساحقه ، وأجبروهم علي العودة إلي موطنهم الأصلي ، وعقدوا العزم علي التخلص من فورتيجرن الذي تسبب في مقدم الغزاة لبريطانيا[٢] . وقرروا تعين أمبروزيوس اورلانوس Ambrosius Aurelianus - Ambrosius - Aurelienus- ملكا عليهم بدلا من الطاغية فورتيجرن[٣] .

وكان رد الإنجليز عنيفا بعد طردهم من بريطانيا ، حيث تملكت القادة الإنجليز الرغبة في الثأر عقب طردهم من بريطانيا ، فدعي هنجست وشقيقه هورسا كبار الزعماء الإنجليز لإعداد العدة والسفن المقاتلة للإبحار إلي بريطانيا بعد أن أقنعوهم بأهمية ثرواتها ، وخاصة خصوبة أراضيها وتنوع زراعتها ، وثرواتها الحيوانية والمائية ، وسهولة مواصلاتها وتجارتها الرائجة وثرواتها العديدة من الرصاص والصفيح واللؤلؤ والجلود وغيرها ، وأكدوا للقادة الإنجليز صلاحيتها كوطن جديد دائم لهم لما تحتويه من كل هذه الثروات[٤] .

واستعد القائدان وشحنوا سفنهم بالمقاتلين ، وأبحروا بقواتهم في طريقهم إلي بريطانيا ، وما أن وطأت أقدامهم أرض الساحل القريب من كنت في منطقة إيلسفورد -Aylesford- حتى اجتاحوا المنطقة وهاجموا البريطانيين وقتلوا ونهبوا وأبادوا الحرث والنسل ، وبثوا الذعر في النفوس، وفر الناجون طلبا للنجاة، تاركين

- Laud , op . cit ,p.13 ; Parker , op. cit., p.12.

[١] - سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، صـ١٠٦.

[2] - Monmouth ,The History of the King of Britain, Trans by Lewis the Throop, London, 1978 , p.157 ; E.H.D , op.cit.,p.154.

[3] - Roger of Wendover, p.12 ; Bede's History ,op cit ,p.57 ; Campbell ,op. cit., pp.16-20; Laud, op.cit.,p.13.

[٤] - ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ٣ . م٣، صـ ٨٥ ؛ جيمس دورتي : المجنا كارتا ، ترجمة طه حبيب، مراجعة ذكي نجيب محمود ، الانجلو المصرية، صـ١٧ .

- Com . Med . Hist . , vol.1 , p.373 ; laud ,op cit. , p. 13, E.H.D op cit, p.154 ; parker , op. cit ,p.12.

الأرض والمال، وهيمن الإنجليز علي كنت وأقاموا أول ممالكهم السبع المشهورة فيها سنة٤٥٥م[١] .

وكانت مملكة كنت أول ما آل من ممالك الجزيرة إلي أيدي الغزاة الجدد ، واشتملت علي فئات شعوب مختلفة ، وظهرت مدينتها مزيجا من عناصر حضارية متنوعة ، وظلت مملكة كنت السكسونية علي صلة بجيرانها من البريطانيين الرومانيين ، فضلا عما قام بينها وبين شعوب القارة من علاقات تجارية وصلات اجتماعية ، وانتشرت مدينة كنت في جزيرة وايت مقاطعة هامبشير ، حيث نزلت الموجه الثانية من الموجات السكسونية . أما الموجه الثالثة فأسست مملكة وسكس التي صار لها السيادة علي جميع الممالك الإنجليزية بالجزيرة فيما بعد ، وإلي الشمال في وسكس وحول مدينة لندن نزل آل – Middle – Saxons – علي حين نزل في الشمال الشرقي منهم السكسون الشرقيون وانشاؤا مملكة اسكس. وصلت القبائل الإنجليزية في نورثمبريا وليستر وبدفورد وكامبريدج وفي أقصي الشمال نزل البرسيون وهم فرع من الإنجليز، وامتزجوا بالكلتيين امتزاجا وثيقا، نشأت منه الممالك الثابتة بشمال الجزيرة، وتشير أقدم الوثائق التاريخية إلي أن الممالك السكسونية التي أسسها الوافدون الجدد بلغت عشر أول أمرهم ثم اختزلت إلي سبع . ثم تقلصت إلي أربع ممالك فثلاث هي نورتمبريا ومرسيا ووسكس[٢] .

والحقيقة أن الوثائق تؤكد أن البريطانيين لم يكونوا صيدا سهلا للغزاة ، بل قاتلوا بصلابة ومنعوا الإنجليز من مواصلة الزحف خارج كنت ، واستماتوا في القتال أملا في النصر والحياة الكريمة ، ودرءا للوقوع في ذل الاسترقاق من جهة أو الموت بشرف ، فكان أن حققوا نصرا أوقفوا به زحف الغزاة هذا ، ولقد كان رد فعل الهزيمة لدي الإنجليز أليما ، وهنا وبما عرف عنه من مكر ودهاء سارع هنجست بإرسال مبعوثيه إلي الملك البريطاني فورتيجرن مبديا أسفه لما حدث ، وأعلن استعداده للوقوف معه ووأداً لمؤامرة مزعومة اختلقها هنجست ، مفادها أن القائد أمبروزيوس قد حاكها للتخلص من فورتيجرن ، وطالبه بالسماح له باستدعاء المزيد من بني جلدته الإنجليز لتعضيده ضد المتآمرين ، والغريب أن فورتيجرن قد صدق هنجست , وسمح له بالبقاء ومساعدته دون الالتزام بتحقيق مطالبه الذاتيه بمنحه لقب إيرل من جهة ، وحصوله علي المزيد من الأراضي من جهة آخرة ، وملكية قصرا أو قلعة يعيش فيها من جهة ثالثة ، فوافق هنجست علي الفور دون اعتراض , وأعلن خضوعه لأوامر فورتيجرن واضعا قلعه يلوز بها عند الحاجة داخل نطاق أملاكه في كنت فوافقه الأخير علي الفور[٣].

---

[1] - E.H.D , op. cit. , p.154.

[٢] - نظير حسان سعداوي: المرجع السابق ، صـ٣١- ٣٢.

- Laud , op. cit., p. 13.

[٣] - مصطفي الكناني : الغزو الجرماني للجزيرة البريطانية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٩٢، صـ٣٦-٣٧.

ومهما يكن من أمر ، وعقب المصالحة بين هنجست وفروتيجرن سارع الأول باستدعاء المزيد من بني جلدته ، فقدمت ثمان عشر سفينة ضخمة مشحونة بالمقاتلين ، وقد صحبتهم جميلة الجميلات رينوين –Renwin ابنة هنجست ، التي كان قد استدعها خصيصا لأحكام خطته الرامية إلي توطيد نفوذه في بريطانيا , وتؤكد الروايات التاريخية أن فورتيجرن ما أن شاهدها حتي جن وشغف حبا بها وعرض عليها الزواج فتمنع هنجست في البداية بحجة أخذ رأيها ، ثم عاد فوافق شريطة منحه حكم كنت رسميا ، فوافق فورتيجرن بدوره فكان أن غضب أبناءه الثلاثة وكبار قادته من جانب ، ومن جانب أخر غضب حاكم كنت السابق كورانجونوس –Corangonus- ولكن فورتيجرن لم يعبأ بغضبهم ، واعتمادا علي الداهية هنجست الذي قوي مركزه أكثر بمقدم ولده اوكتا –Octa- وبصحبته شقيقه الأصغر إبسا – Ebissa علي رأس ثلاثة آلاف مقاتل إنجليزي [١].

وتفوق الغزاة الإنجليز علي البريطانيين ، ومنحهم الملك البريطاني فورتيجرن حق الاستيطان في شمال بريطانيا لصد هجمات البكتسس والسكوتس (الاسكتلنديين والايرلنديين)، وطلب هنجست من فورتيجرن استدعاء المزيد من الإنجليز ، لتوطيد أركان حكمه في بريطانيا ضد الأعداء والمتآمرين علي العرش من البريطانيين ، وأوهمه هنجست أن ذلك لن يتم إلا بطلب المزيد من الإنجليز . وعلي الفور وافق الملك رغم اعتراض حاشيته و كبار قادته ، والأكثر من ذلك طالبوا فورتيجرن بطرد هنجست وكل الغزاة الإنجليز ألا أن الملك رفض طلبهم – والواقع أن الملك كان خاضع إلي زوجته الجميلة رينوين – ولم يترك الملك للبريطانيين الخيار غير الثورة عليه وعزله، وتولية أبنه فورتيمير –Vortimer – ملكا علي بريطانيا ، ودخلت بريطانيا في حرب أهلية بين فورتيجرن والإنجليز من جهة ، وأبنه فورتيمير والبريطانيين من جهة أخري ، وخاض الطرفين معركة حاسمة قرب نهر ميدواي –Medway- في كنت وانتهت المعركة بهزيمة الغزاة الإنجليز وقتل في المعركة هورسا شقيق هنجست وعم رينوين، وكذلك كاتيجرن – Categern – شقيق فورتيمير، وانسحب الإنجليز من أرض المعركة بعد أن خلفوا وراءهم عددا كبيرا من الجرحى والقتلى والأسري [٢].

ولعبت رينوين دوراً هاماً في عودة زوجها فورتيجرن ووالدها هنجست، حيث قررت الانتقام لمصرع عمها هورسا، فاستطاعت استمالة بعض الحرس ودبرت مؤامرة للتخلص من فورتيمير بالسم ، ونجحت في ذلك وتخلصت منه ،

- Bede's History ,op. cit., p.57 ; E.H.D ,op. cit., p.154 ; Laud ,op. cit., p 13.

١ - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٣٧.

- Monmouth , op . cit., p.158.

2 - Green J R , Short History of the English people , London ,1929 ,pp.6-7 ; Roget of Wendover vol.1 , pp.10-12.

وأعادت زوجها للحكم مرة أخري ، وأقنعت زوجها بإعادة والدها إلي بريطانيا مرة أخرى ومعه العديد من الإنجليز لتدعيم مركزه مرة أخري [١] .

وفي عام ٤٥٦م عاد هنجست إلي بريطانيا ومعه أعداد كبيرة من الإنجليز حيث قدرها بعض المؤرخين بثلاثمائة ألف مقاتل ، ضمنت للإنجليز التفوق علي البريطانيين في منطقة كرنسنفورد – Creancanford – شمال غرب نهر كيري – Cray- في مقاطعة كنت ، وقتل عدد كبير من الجيش البريطاني , وانسحبوا من مدينة كنت إلي داخل بريطانيا مذعورين من قوة الإنجليز وتفوق عددهم ، وأن كان هذا العدد مبالغ فيه حسب تقديرات العصور الوسطي[٢] ، وذكر المؤرخ – مونموث – أن عدد الإنجليز كان قليل جدا لأن هنجست عاد إلي بريطانيا سرا مع مجموعة من رجاله ، وسواء كان العدد كبيرا أو قليلا المهم هو هروب البريطانيين وتركوا كنت للعدو، ووطد الإنجليز مركزهم إلي الأبد في بريطانيا وسيطر الإنجليز علي شمال بريطانيا ، واستقروا في مدينة كنت ومنها توسعوا داخل بريطانيا[٣].

ويبدو أن هزيمة البريطانيين كانت ثقيلة، وأبعدتهم عن القتال عدة سنوات أعاد فيها تنظيم قواتهم، وبعدها هاجموا الإنجليز من جديد أملا في دحرهم وطردهم من البلاد إذ تفيد المصادر مهاجمتهم للإنجليز في عام ٤٦٥م ، ولكن الأخرين بقيادة هنجست وولده هزموهم في موقعة ويبدسفلت –Wippedesfleot – وأبادوا وذبحوا أربع فرق بريطانية وعلي رأسهم اثنين من كبار قادتهم ، وفر الباقون طلبا للنجاة مذعورين إلي لندن ، وضاعت أمالهم في استعادة كنت نهائيا ، وعاد الإنجليز بالأسلاب والأسرى ، وبلغت الهزيمة حدا من الشدة لدرجة أن البريطانيين استكانوا كلية , وتحاشوا قتال الإنجليز لإعادة حساباتهم وتقدير أعداد قواتهم استعادة للثأر , ولم تشير المصادر إلي معارك مماثلة لمدة ثماني سنوات ، حيث هاجموا الإنجليز في عام ٤٧٣م , ولكن الانجليز بقيادة هنجست وولده اوكتا هزموهم وأسروا وغنموا ما لا حصر له , وكانت المحصلة أن بدأت تتوافد أعداد كبيرة من الغزاة علي بريطانيا لتعضيد بني جلدتهم وتوطيد سيطرتهم علي الجزيرة ، في نفس الوقت الذي انكمش فيه البريطانيون في ويلز وكورنول من جديد لعدة سنوات دون التعرض للغزاة , وحدث في عام ٤٧٧م أن قدمت مجموعة من الإنجليز بقيادة القائد إيلا – Ella- وأبناء الثلاثة وهم : سيمن –Cymen- وويلنسج – Wlencing- وسيسا – Cissa- علي ظهر ثلاث سفن ضخمة مشحونة بالمقاتلين فهاجمهم البريطانيين في الموقع عند سيمنسورا –Cymenesora- وانهزم البريطانيون وذبح منهم العديد

[1] - Stenton ,op . cit.., P.16 ; Hillarie Belloc , A shorter –History of England , London , 1934 ,pp. 58-59.

[2] - E.H.D ,op cit ,p 154 ; Patker ,op .cit., p.12 ; Laud , op. cit., p.13.

[3] - Monmouth ,op. cit. ,p.163.

وهرب الناجون للاحتماء بغابة اندردسلا –Andredslea- وأقام إيلا ثاني الممالك الإنجليزية في سكس بعد مملكة كنت[١] .

وأن أختلف المؤرخ – كمبل – وبعض المؤرخين علي أن تأسيس إيلا لمملكة سكس كان عام ٤٩١م ، وهي مملكة السكسونيون الجنوبيون , وكانت عاصمتها تشيستر –Chichester- بعد انتصاره علي الإنجليز في معركة أندريد سيستر ، وبعد ربع قرن تقريبا وبالتحديد عام ٥١٦م استطاع سرديك –Cerdic- أن يؤسس مملكة وسكس (السكسونيون الغربيون) وعاصمتها ونشستر – Winchester-[٢] .

وقبل – الاسترسال- في تتابع الأحداث العسكرية كان لابد أن نوضح بعض الفروق الكبيرة بين البريطانيين والسكسون , فالبريطانيون خياليون متطرفون تغيرهم الأهواء ويغويهم التنافر ، وهم بين غارق في الزهد أو غارق في اللذة ، وتغلب عليهم الأنانية والتناقض فضلا عن شئ من النعومة ، أما الإنجليز فقوم عمليون مثابرون ، وفيهم شئ من بطئ الفهم مع القدرة علي التعاون بين بعضهم البعض ، والطاقة علي السير في أي عمل إلي النهاية . وذلك حين كان عملهم الأكبر استعمار قري الجزيرة البريطانية ، والإنجليز في الواقع شعب ملؤه الشهامة والرجولة وهم في الجملة أقوى من البريطانيين ، ولم يكن أضمن للمستقبل من أن يتم الامتزاج بين هذين الشعبين ، برغم ما ثار بينهما أولا من عداء وصعوبة في التوفيق[٣] .

وبالعودة إلي الأحداث العسكرية نجد أن هنجست قرر فرض سيطرته علي بريطانيا ، وفكر في حيلة ماكرة للتخلص من زوج ابنته فورتيجرن ، وطلب منه الحضور إلي مقره في كنت للتخطيط للقيام بعمل مشترك ضد الاسكتلنديين ، وخدع فرتيجرن بعد أن أظهر له الداهية هنجست الحب والمودة وحضر فرتيجرن ومعه عدد من رجاله , واستقبله هنجست بالترحاب . وأمر بعدد من رجال فرتيجرن أن يقوموا علي خدمتهم في الظاهر ، ولكن في الخفاء أعدوا خطة للتخلص منهم عن طريق خناجر مسمومة أعدت لذلك ، وتم تنفيذ ذلك علي أكمل وجه وشاءت أرادة الرب أن يهرب بأعجوبة وإيلدول –Eldol- دوق جلوسستر ، وأرتجف هنجست رعبا من هروب إيلدول ، وأمر بمطاردته في كل مكان وبعد أن أمر بحبس

---

١ - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٤٠ -٤١.

- E.H.D., op. cit., p.154 ; Stanton , op. cit., p.17 ; Roger of Wendover ,Flowers of History, Trans From Latin by Giles G.A., 2voles, London, 1949, p,19 ; Campbell , p. 26 ; Laud ,op. cit., pp.13-15 ; Darker , op. cit. , p.14.

2 - Compbell , op cit,p.26 ; Roger Collins , Early Medieval Europe 300-1300, Second Edition, Hong koug , pp.176-177.

٣ - رواس : المرجع السابق ، صـ٢١.

فورتيجرن في إحدى القلاع في كنت اجتاح لندن ويورك ، وفي خضم الأحداث هرب فورتيجرن إلي ويلز واحتمي بقلعة مون أرث –Mounherith-[١].

والحقيقة أن البريطانيين عانوا من حكم ملكهم فورتيجرن أكثر من معانة أعدائهم الإنجليز ، لذلك قرروا الثورة ضده ونقض يمين الولاء له ، ونصبوا عليهم القائد الروماني العظيم أمبروزيوس لمواجهة الأخطار المحدقة بالبلاد ، وعقد أمبروزيوس مجلس الحرب وقرر المجلس التخلص من الطاغية فورتيجرن ، وتقديم فروض الولاء والطاعة إلي القائد الروماني أمبروزيوس ، لذلك وضعوا كل مواردهم من أموال وسلاح ومقاتلين تحت تصرف أمبروزيوس ، الذي قرر قيادتهم للتخلص نهائيا من فورتيجرن ، وأعد خطة محكمة لمطاردته حتي يوقع به ، وتم له ذلك عندما حاصره في قلعته المنيعه في عام ٤٨٥م ، واستطاع تحطيم أسوار القلعة وأحرقها وقتل كل من بداخلها حتي فورتيجرن نفسه لم ينجوا من الموت , وتخلصت بريطانيا من الطاغية الذي أذاقهم الذل والمهانة وحاك ضدهم العديد من المؤامرات [٢] .

ولم يغالوا البريطانيين في فرحتهم لأنهم علي يقين أن هناك جولة أخري قريبة مع الغزاة من الإنجليز ، لذلك قرروا أن يطردوا الغزاة من بريطانيا كلها ، وكان هنجست علي دراية بتلك الأوضاع ، لذلك قرر الانسحاب بجيشه عبر نهر همبر ، وقوى استحكاماته العسكرية وحصن القلاع بالجنود استعدادا للبريطانيين . وعلي الجانب الآخر قرر أمبروزيوس الزحف علي الإنجليز في جيش تعداه حوالي عشرون ألف مقاتل من خيرة المقاتلين البريطانيين . أما جيش الغزاة الإنجليز فكان يبلغ تعداده حوالي مائتا ألف مقاتل – مبالغة من المؤرخين الإنجليز ليبرهنوا علي مدي قوتهم – ودارت رحي المعركة علي الغزاة الإنجليز وفروا مذعورين أمام البريطانيين ، وعلي رأسهم هنجست إلي قلعة كايركونين – kaerconen– الحصينة . وكان هنجست الداهية يهدف من ذلك تنظيم صفوفه للكر عليهم ، والأمر الأخر استقطاب البريطانيين إلي أرضه ليسهل عليه قتالهم ويثأر لهزيمته ، وبالفعل تم له ما أراد ، وهاجم الغزاة البريطانيين وهزموهم وذبحوا الآلاف منهم ، وهربوا من أرض المعركة كالفئران في الصحراء وتشتت شملهم ، وفجأة ظهر الدوق القوي دوق جلوسستر ، واستطاع هو وجنوده قلب الدفة لصالح البريطانيين وقتلوا هنجست في ٤٨٨م[٣] .

وفر الإنجليز الغزاة يتقدمهم أوكتا بن الملك المقتول إلي مدينة يورك ، وأمر القائد أمبروزيوس بدفن هنجست طبقا للمراسيم الوثنية المتبعة ، واحتراماً منه

---

1 - Monmouth , op .cit., pp.162-166 ; Green , op. cit., p.7.

2 - Monmouth , op. cit. , pp.187-188 ; Green , English people , pp. 8-9.

3 - Monmouth, op. ,pp.190-192 ; Parker , op. cit. , p.14 ; Roger Collins , op. cit.., p, 177 ; Laud , op. cit., p. 15.

وإجلالاً لهذا الرجل وتنفيذاً لأوامر القائد الروماني أمبروزيوس تمت مراسيم دفن هنجست[١] ، وأصر أمبروزيوس علي تتبع بقايا فلول الإنجليز فقتل منهم الكثير وأسر الباقي , ولسوء حظ اوكتا بن هنجست أن سقط أسيرا في يد امبروزيوس ، وأمام توسلاته ومطالبته بالعفور والسماح ، وقبل أمبروزيوس وساطة أسقف جلوسستر إيلدا دوس –Eldadus- وعفا عن اوكتا ، وكان كريما معه إذا أقطعه إقليم غير مأهول علي الحدود البريطانية الاسكتلندية . واشترط عليه امبروزيوس أعادة مدينة يورك للبريطانيين ، ووافق أوكتا نظرا لضعفه وقلة حيلته ، وفي محاولة للاستعداد لجولات أخري [٢] .

ورغم شرعية أمبروزيوس الرومانى في نظر البريطانيين ، لأنه استطاع أن يخلصهم من أعدائهم الإنجليز ، وفرض سيطرته علي كل بريطانيا ، وأخضع الغزاة لحكمة وارتضوا أن يعيشوا علي الحدود بين بريطانيا واسكتلندا المحالفين له ، إلا أنه كان هناك مطالب رئيسي بالحكم وهو ابن الطاغية فورتيجرن من زوجته الأولي ويدعي باسشنت –paschent- وقرر أن يتحالف مع الغزاة الإنجليز لمصلحته الشخصية ، فخطط معهم للتخلص من أمبروزيوس وتولي حكم بريطانيا , وأغراهم بمكافآت ضخمة من الذهب والفضة ، والأكثر من ذلك بمنحهم جزء داخل بريطانيا للاستيطان . ولكي ينفذوا مخططاتهم قام القادة الإنجليز باستدعاء أعداد كبيرة منهم ، وبعد أن تجمعوا أبحروا إلي بريطانيا في أعداد كبيرة ، ودخلوا في معارك طاحنة مع البريطانيين ، ولم يكن هناك نصر حاسم لأحد الفريقين سواء الإنجليز متحالفين مع باسشنت والبريطانيين بقيادة أمبروزيزس [٣] .

وقام الغزاة الإنجليز باستدعاء القائد الإنجليزي سيرديك – Cerdic – والذي اصطحب معه ابنه سينريك – Cynric- والعديد من القادة الإنجليز لإحراز نصر علي البريطانيين ، وجاءوا بعدد كبير من الجنود تحملهم خمس سفن ضخمة , ودخلوا مع البريطانيين في حروب طاحنة ، وأن كانت كفه الانجليز هي الأرجح في هذه الجولات ، والتي كانت نهايتها ٤٩٥م واستمرت الحروب مستمرة بين الطرفين لمدة ست سنوات تقريبا دون نصر حاسم لأحد الطرفين ، ولكن الإنجليز استطاعوا اقتطاع الجزء الجنوبي من بريطانيا وكونوا مملكة وسكس عام ٤٩٥م[٤] .

---

1 - E.H.D ,op cit ,p 154 ; Parker , op.cit.,p 14.

2 - Monmouth , op. cit., pp.191-193 ; Roger Collins , Easley Medieval Europe , p.177.

3 - Monmouth , op. cit., pp.199-200 ; Orton , out Lines, of Med. Hist. ,p. 95 .

٤ - اختلفت أراء المؤرخين حول تأسيس مملكة وسكس، منهم من قال أسسها سيرديك سنة ٤٩٥م، ومنهم من قال أسسها هو سنة ٥١٦م ، ومنهم من قال أسسها بورت سنة٥٠١م، ومنهم من قال أسسها بورت كذلك سنة ٥١٤م.انظر في ذلك :

وفي عام ٥٠١م وصلت حشود هائلة من الإنجليز ونزلت بورتسموث - - Portsmouth إلي الساحل الجنوبي لبريطانيا ، وانتصروا بقيادة القائد بورت وولداه بييدا – Bieda- ومايجلا –Maegla- وقتلوا أحد النبلاء القادة البريطانيين والعديد من رجاله واستوطنوا المنطقة بعد أن طردوا سكانها , وكانوا سندا وعضدا لبني جلدتهم من الإنجليز في الجزيرة ، لذلك نجد أن القادة الانجليز وحليفهم باسشنت بن فورتيجرن قد حشدوا قواتهم بعد وصول الإمدادات واستعدت القوات الإنجليز لحسم الصراع بمعركة فاصله مع البريطانيين ، وكان الآخرون قد أحتشدوا في أعداد لا حصر لها بقيادة أمبروزيوس ، وهنا وجد كبار القادة الإنجليز أنه لا مناص من تحاشي الدخول في معركة خاسرة لا محالة مع البريطانيين لضخامة أعدادهم وقوة معداتهم ، وفكروا في خطة للتخلص من امبروزيوس نفسه ، وبالفعل نجحوا في قتله بالسم عام ٥٠٨م . وبعد أن نجحوا في استمالة الخائن البريطاني أمبرو – Ambro- ، الذي سهل وصول أحد الإنجليز ممن يجيدون التحدث بالبريطانية إلي غرفة الملك علي أنه طبيب ماهر أحضر لعلاجه من مرض ألم به ، وقد صدقه أمبروزيوس وتناول العلاج الذي كان في حقيقته سماً زعافاً ، وأودي بحياته في الفراش وفر الطبيب المزعوم والخائن أمبرو في الصباح وحزن البريطانيون حزنا شديدا ، وسارعوا باستدعاء أخيه اوثر بندراجون – Uthor -pendragon [١] .

وسارع أوثر العودة إلي بريطانيا وقطع الإنجليز بقيادة باسشنت عليه خط الرجعة ، ولكن اوثر هزمهم وقتل وأسر منهم عدد كبير وذهب أوثر إلي ، وينشستر حيث يرقد جثمان أخيه وتوج ملكا علي بريطانيا خلفا له . وانتهز الإنجليز فرصة مصرع أمبروزيوس اعتقادا منهم أن أوثر أضعف وأقل قوة وبناء عليه أرسل الإنجليز بقيادة أوكتا - الذي تحرر من قسمه لإمبروزيوس بعد وفاته – في طلب المزيد من الإمدادات الإنجليزية واستطاع اوكتا ان يفرض الحصار علي مدينة يورك سنة٨٠٥م والتقي أوكتا وجها لوجه مع قوات الملك اوثر، ودارت رحي معركة قوية دارت فيها الدائرة علي البريطانيين ، وقتل قائدهم المدعو نازاليود – Nazaleod – وغضب الملك اوثر غضبا شديدا بسبب الهزيمة[٢] .

وعقب انتهاء المعركة غضب الملك اوثر ، وأصدر أوامره لعدد من قواده بالهجوم المباغت علي الإنجليز ليلا ، ونجح البريطانيون في مفاجأة العدو وقتل

- Roger Collins ,Early Medieval Europe p. 178 ; Compbill, op. cit., p.26 ; Orton, out lines of Med .Hist., pp.95-96.

[١] - مصطفي الكناني : المرجع السابق، صـ٤٨-٤٩.

- E.H.D. ,op. cit., p.155 ; Roger of Wendover , op. cit., p. 27 ; Stenton , op .cit., pp .19-20 ; Brook , op. cit., p .88.

[2] - Monmouth ,op cit., pp 200-203 ; Anne Savage , The Anglo-Saxon Chronicles (60-1154), p. 35.

العديد من رجاله ، وأسر كل من القائدين الإنجليزيين اوكتا وأيوسا اللذين حاولا الفرار بلا جدوي , وأنسحب الإنجليز إلي مدينة الكالد – Alculd- فهاجمهم وهزمهم ، وحرر المدينة واحتفالا بذلك وفي عيد الفصح سنة ٥٠٩ أستدعي الملك أوثر قادته ورجاله المقربين للاحتفال بتتويجه ملكا علي كامل التراب البريطاني بعد إخضاعه ايرلندا لسلطانة ، ولكن جورليوس دوق كورنول رفض الحضور لعلمه بشغف أوثر بزوجته يجرنا –ygerna - فغضب الأخير وهاجم كورنول ودارت رحي معركة شرسه بين الجانبين ، وحاصر أوثر الدوق في ديميليوك – Dimilioc- وانتهي القتال بانتصار أوثر ومصرع الدوق . وزواج الأول من أرملة الثاني يجرنا وأنجب منها أوثر Arthur وأنا Anna وساد بريطانيا هدوء نسبي وأن الإجهاد قد هد أوثر وألزمه الفراش ، فانتهز القائدان الإنجليزيان اوكتا وأيوسا الفرصة ونجحا في الفرار من سجن لندن ، وأبحروا إلي جرمانيا حيث قاما بتأليب الإنجليز ضد البريطانيين وطالبا قادتهم بالثأر من أوثر والهيمنة علي بريطانيا ، وإبحر القائدان إلي بريطانيا سنة٥١٤م ، بصحبة آخرين يرجح أنهما القائدان الإنجليزيان ويتجار -Wihtgar– وستيف وعند شاطئ سيرديسيسورا - Cerdicesora – نزلت القوات الإنجليزية علي المنطقة الإنجليزية ، واشتبكت مع البريطانيين في معركة انتهت بهزيمة البريطانيين وسيطرة الإنجليز علي المنطقة . وعندما سمع اوثر هذه الأبناء سارع بحشد قواته وكلف زوج ابنته ونائبه المقرب إليه لوث أف لودونسيا Loth of londonesia – بقيادة الجيش لمرضه الشديد ، ولكن الإنجليز انتصروا عليه فغضب وعزل زوج ابنته ، وتولي هو القيادة بنفسه محمول علي محفه وحقق نصرا مؤزراً وقتل القائدان أوكتا وأيوسا والآلاف من رجالهم وفر الناجون وعمت الفرحة بريطانيا [١] .

وظهر علي مسرح الأحداث أرثر بن الملك اوثر ، وتروي الأساطير القديمة ان الملك أرثر وفرسانه في عرباتهم المضيئة في الليالي المقمرة خلال ممرات الغابات ، حيث كان أوبرن وتيتانيا يقيمان بلاطهما من الجنيات ، وحيث كان بك الأسمر يتربص مكشرا عن أنيابه وسط السرخس . وفي الليالي العاصفة كان المردة من النورديين القدامي يركبون خيولهم الشيطانية وسط الزوابع الصارخه العاتية [٢] .

ويرجع النصر السابق للبريطانيين علي الإنجليز للأمير أرثر بن الملك أوثر في معركة مهمة بين الجانبين ، وهي معركة تل بادون المشهورة – Badon Hill- أومونز بادونيكوس –Mons Badonicus- حيث دافع الأمير أرثر امير كارليون – Caerleon – ودافع عن الكامبريين دفاعا شديدا ، لذلك كان أرثر بطل

---

[١] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٥١-٥٣ .
- Monmouth , op. cit., pp .204-211 ; A S C . ,op . cit., p.35.

[٢] - جيمس دوورتي : المجنا كارتا ، صـ١٨.

الأساطير ، واخيلوس بطل الملاحم الشعرية الكامبرية ، ويقال ان أرثر قتل بيديه أربعمائة رجل من أعدائه في يوم واحد في معركة تل بادون سنة ٥١٦م [١].

وخلال الكفاح الطويل بين البريطانيين والإنجليز كانت شخصية الملك أرثر هي الشخصية التي ملأت النفوس بالإعجاب ، فضلا عن أن قصة ذلك الملك هي أعظم وأبقي ما خلفه الكلتيون ، وهو قائد روماني عظيم واخر الولاة الرومان . والحقيقة أن روما لم تتخل عن الولاية البريطانية تخليا رسميا بمعني أنها لم تتخذ قرارا بالجلاء عن أرض ظلت طوال أربعة من القرون مصدرا للثروة ومدعاة للفخر ، بسبب ما أقامه الرومان في أرجائها بل ترك البريطانيين وشأنهم في الدفاع عن أنفسهم بما استطاعوا من وسائل المقاومة التي لا سبيل إلي معرفة درجاتها من الشدة او مدتها من الزمن إلا عن طريق الحدس والخيال، لأنه ليس يوجد من أخبار بريطانيا في تلك المحنة إلا النذر اليسير [٢] .

ويبدو ان هزيمة الإنجليز في معركة تل بادوون سنة ٥١٦م بقيادة الأمير أرثر كانت ثقيلة الوطأة علي الإنجليز , الذين تلاشوا من علي مسرح الأحداث لمدة ثلاث سنوات , وفي سنة ٥١٩م أقر الإنجليز محو أثار هزيمتهم السابقة منتهزين فرصة مرض الملك أوثر وهاجموا البريطانيين وهزموهم في معركة تشارفورد – Charford - تحت زعامة الإنجليزيين المشهورين سرديك وسينريك – وسيطر الإنجليز علي مساحة شاسعه من الجزيرة البريطانية وقرروا التخلص من الملك العظيم اوثر وذلك بتسميم البئر الملكية التي يشرب منها هو وحاشيته ولقي مصرعه سنة ٥٢٦ بعد أن شرب من البئر وحزن البريطانيين عليه بشدة ، وتم دفنه بجوار أخيه الملك أمبروزيوس وعمت الفرحة كل أرجاء الممالك الإنجليزية ، وعلي أثر

---

[١] - أرثرهو بطل أسطورة من البريتون الكلتين نسجت حول شخصه روايات وأعمال أدبية كثيرة وبخاصة الأسطورية التي تميز المدونات التاريخية في القرن الثاني عشر وما بعدها ، وربما يكون لها أساس من الصحة التاريخية ، ففي سنة ٥٤٠ كتب المؤرخ الكلتي جلداس ، عن أنه في مطلع القرن السادس نجح محارب يدعي أرثر في صد الغزو الأنجلو سكسوني في غرب بريطانيا ، وكسب عددا من المعارك أهمها معركة تل بادوون ، ووضعت المدونات التاريخية أرثر باعتباره زعيما مسيحيا حارب ضد الأنجلو سكسون الوثنيين بداية القرن الثاني عشر ، تحولت الشخصية إلي شخصية أسطورية هي شخصية الملك أرثر " الذي قضي شبابه في التجوال وحدثت له معجزات عديدة . وحين تولي العرش فتح بلاد اوربية مثل اسبانيا وبريطانيا , وكان يعقد في بلاطه "دائرة مستديرة" يجلس حولها اثنا عشر فارسا يرمزون إلي الحواريين الذين صاحبوا المسيح ويمثلون فكر الناس الكامل ". انظر في ذلك :
- نورمان كانتور: المرجع السابق ، القسم الثاني ، حاشية ٧، صـ٤٨٥؛ رواس المرجع السابق ، صـ١٩ .

[٢] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٣٠-٣١.

ذلك عاش الإنجليز في الأراضي البريطانية فسادا ، فدمروا وأحرقوا وقتلوا واغتصبوا وأبادوا الحرث والنسل [١] .

وعلي أثر ذلك في عام ٥٢٧م نجح الأنجلو-سكسون في إقامة مملكة في شرق إنجلترا بعدما صدهم أرثر في الغرب ، وعرفت هذه المملكة باسم أسكس – Essex (السكسونيين الشرقيين) وهي تقع جنوب شرق الجزيرة شمال القنال الإنجليزي وجنوبي نهر التايمز – واتخذوا مدينة السكسون أربعة ممالك في الجزر البريطانية (كنت – وسسكسس – ووسكس – وأسكس) ، ونتيجة للانتصارات المتتالية والإمدادات الإنجليزية استولي الانجليز علي جزيرة وايت – Wight سنة ٥٢٧م [٢] .

ونتيجة لتوالي الكوارث وخطورة الأوضاع التي نتجت عن مصرع الملك أوثر سارع دبريكيوس –Dubricus – رئيس أساقفة ليجيونز –Legeons- بانتخاب الأمير أرثر بن الملك اوثر ملكا علي بريطانيا ، وطالب البريطانيين بالقتال تحت قيادته ضد الأعداء الإنجليز وحلفائهم الايرلنديين والاسكتلنديين، تحت قيادة القائد الإنجليزي المشهور كولجرن –Colgrin- ، وهاجم كولجرن وحلفاءه أرثر قرب نهر دوجلاس- Dugles- وكادوا يهزمونه لولا أنه استطاع امتصاص الهجمة ، وهاجم أرثر وفر كولجرن إلي مدينة يورك ومن معه فحاصرهم أرثر ، واستمات الانجليز في الدفاع عن المدينة ترقبا لمقدم الإمدادات بقيادة شقيقه بالدولف –Baldulf وبعد وصول الإمدادات لم يهاجم الإنجليز نظرا لضخامة الجيش البريطاني وإمكاناته العالية ، وانتظروا المزيد من الإمدادات بقيادة سيرديك ملك وسكس ، واتفق بالدولف وسيريدك علي مهاجمة العدو ليلا , ولكن أرثر القدير خيب ظن الجميع ، وهاجم الإنجليز وهم قيام منتهزا فرصة الإجهاد الذي حل بهم , وانتصر عليهم وفر بالدولف من المعركة وهرب إلي مدينة يورك متخفيا في ذي زمار , واتفق مع القائدين الإنجليزيين سيرديك وكولجرن علي الدفاع عن يورك إلي حين وصول الإمدادات , وعندما رأي الملك أرثر وصول الإمدادات قرر فك الحصار عن يورك والإنسحاب إلي لندن ، وتم عقد المجلس الحربي ، حيث قرر الحضور استدعاء ابن أخيه هول الأول – Hoel I ملك أرموريكا –Armorican - لمساعدة أرثر والبريطانيين [٣] .

---

[1] - Monmouth , op, cit., p.211 ; Campbell , op.cit,p.27 ; E.H.D. ,op. cit., p.155 ; Dictionnaire universal de Histore et de Geographique ,p 865.

[2] - Hillarie Belloc ,op.cit., pp. 58-59 ; Orton ,Outlines of Med. Hist.,p.95 ; Carter ,op .cit., p .30.

[٣] - أرموريكا : عندما استولي الإنجليز السكسون علي الأقاليم الجنوبية الشرقية؛ هرب أهل البلاد إلي الأقاليم الجنوبية الغربية من الجزيرة إلي أموريكا بأقصي الشمال الغربي عن فرنسا الحالية ، والتي سميت منذئذ بريتاني تحريفا من اسم بريطانيا القديم. لذلك كان يدعي ملكها ملك بريتون أرومويكا –Armorica Baritones – انظر في ذلك :

وقدم هول تلبية لنداءات أرثر علي رأس قوة من خمسة عشر ألف مقاتل ، نزلت علي ساحل بريطانيا بالقرب من سوثامبتون – Southampton – في عام ٥٣٣م ، وزحف هول وأرثر إلي لينكولن –Lincoln – وكان الانجليز يحاصرونها . وهناك ألتحم الجانبان في معركة دامية انتصر فيها البريطانيين ، وهرب عدد كبير من فلول الإنجليز إلي غابة كاليدون ، فحاصرهم البريطانيين ثلاث أيام وعندما نفذت الإمدادات طالبهم الإنجليز بالسماح لهم بالانسحاب مقابل دفع جزية سنوية وكافة ما معهم من ذهب وفضه ، وتوكيد لحسن النويا تركو عددا من الرهائن ضمانا لالتزامهم بالجزية ، فوافق أرثر وهول حقنا للدماء . وأبحر الانجليز بعيد عن الساحل ، وأثناء إبحارهم شعروا بالخزي والعار وقرروا العودة لمسح عارهم بالسيف أو الموت بشرف ، وبالفعل عادوا إلي بريطانيا ورست سفنهم ونزلت قواتهم قرب بلدة توتنس – Totnes - فاجتاحوها ، وزحفوا ودمروا وأحرقوا كل ما اعترضهم من حرث ونسل وعرجوا بلدة باث الواقعة قرب نهر أفون – Avon– فحاصروها من البر والبحر . وبوصول تلك الأخبار إلى أرثر قام فوره وقتل كل الرهائن السابق حجزهم لديه ضمانا لالتزام الإنجليز وتحرك بجيشه لدرء خطر الغزاة ، وحث رجاله علي قتال الوثنيين لنكثهم العهود وعدم الالتزام بالهدنة وقتل الفلاحين الأبرياء ، وبالمثل خاطبهم دوبريكيوس أسقف ليجيونذ وطالبهم بالدفاع عن الأرض والعرض والمال وبشرهم بالجنة والنعيم وغفران خطياهم ، وارتفعت الروح المعنوية للجند وهاجموا مع آرثر هجمة رجل واحد ، ودخل أرثر بنفسه في أتون المعركة يده بيد جنوده ، وكان من شراسة المعركة أن استمرت حتي الغروب ، وصعد الإنجليز إلى التلال المحيطة للاحتماء فيها حتي الفجر ، ولكن البريطانيين لم يمهلوهم وزحفوا خلفهم ، واعمل آرثر وجنوده السيوف في رقاب الإنجليز وسقط العديد من القتلي وعلي رأسهم بالدولف وأخيه كولجرن , وسارع سرديك بالانسحاب مع بعض من رجاله فطارده كادور –– Cador دوق كورنول ، وزحف آرثر لتأديب الايرلنديين و الاسكتلنديين لتحالفهم مع الإنجليز ومحاصرتهم الملك هول طريح الفراش[١].

واستطاع دوق كورنول كادور أن يتخلص من سرديك قرب جزيرة ثانت سنة ٥٣٤م ، وتولي خلفا له في مملكة وسكس ابنه سينريك ، وعاد كادور إلي مدينة يورك منتصرا علي الإنجليز الذين كانت خسائرهم فادحة . ونتيجة الهزائم المتتالية والمتلاحقة للإنجليز ، استكانوا فترة طويلة للاستعداد للجولات الأخرى وان كانت المدة طويلة من سنة ٥٣٤م أخر معركة مع البريطانيين حتي سنة ٥٤٦م ، قاموا

- فشر : المرجع السابق، جـ١، صـ٣٠-٣١ ؛ نظر سعداوي :المرجع السابق، صـ ٣٠ ؛ مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٥٦-٥٨.

- Monmouth , op. cit., pp.208-214.

[١] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ ٥٩-٦١.

- Monmouth , op.cit.,pp.214 -217.

خلالها بطلب الإمدادات وتحصين حصونهم ووصول المؤن والأسلحة ، استعدادا للثأر من الهزائم السابقة ، وبعد أن أعدوا عدتهم لمهاجمة البريطانيين ووسعوا مناطق نفوذهم ، حيث ظهر القائد الإنجليزي القوي إيدا –Eda- في سنة ٥٤٧م واستولي إيدا أورجل النار علي يورك وإقليم نورثمبرلاند -Northumberland- (الأراضي الواقعة شمال همبر Humber) معلنا بذلك قيام خامس الممالك الإنجليزية [١] .

وأثناء وجود الملك أرثر في يورك تقابل بثلاث أخوة من أسرة نبيلة وهم لوث Loth وأوريان –Urian – وأجوسيليوس –Uguselus فأعجب بهم . وكان الأول متزوجا من أخت أرثر وأنجب منها ولدين هما جاوين Gowin وموردرد – Mordred- ومنحه حكم دوقية لوثيان –Lothian- وما جاورها ومنح شقيقه أوريان حكم شعب موراي –Moray- في اسكتلندا ومنح شقيقه الثالث أوجوسيليوس حكم الايرلنديين ، وأثناء تواجده في يورك تزوج من جميلة الجميلات جنيفير -Guinevere– ثم غادر يورك لتأديب الايرلنديين وهزم ملكهم جيلماريوس –Gilmarius – وأسرة وأخضع بلاده ، ثم عرج بأسطوله علي إيسلندا – Iecland- واخضع ملكي اوركني -Orkney- وجوتلاند -Gutland- وألزمهما بدفع الجزية , وأمضي الشتاء هناك وفي الربيع التالي عاد إلي بريطانيا , وأصبح بلاطه محط الأنظار وفزع الملوك من بطشه وجيشه . وفي العام التالي أبحر غازيا بلاد النرويج ، ومنحها إلي زوج أخته لوث ودانت له بالطاعة الدانمرك ، ثم أتجه إلى غاله وهزم التربيون الروماني – Frollo- ومزقه في مبارزة شخصية ودخل باريس . وباقتراب عيد النصر سنة ٥٤٩م عقد أرثر مجلس الحرب وحضره كافة الأمراء ورجال الدين ومندوب البابا ومندوب الإمبراطور الروماني ، الذي طالب أرثر بدفع جزية والخضوع إلي روما مما أثار غضب ارثر ، وأعلن أنه سيرد علي رسالة الإمبراطور بإخضاع غاله وطرد الرومان منها ، وعلي الفور شرع أرثر في التنفيذ ، فوكل إلي ابن أخته موردرد وزوجته جنيفير بحكم البلاد أثناء تواجده في الخارج ، وخرج علي رأس جيش ضخم إلي غاله ، واكتسحها وهزم التربيون لوكيوس –Lucuis- وطارد فلول الرومان الهاربة ، وأخضع كل المدن لنفوذه ، واستعد للزحف نحو روما في الصيف التالي [٢] .

وأثناء استعداده للذهاب إلي روما وصلته أنباء سيئة تفيد باغتصاب بن أخته الأمير موردرد العرش بالتآمر مع زوجة آرثر ، التي عشقت الأمير موردرد وتحالفا مع الإنجليز ضد أرثر ، الذي جن جنونه وعدل عن قراره بغزو روما

---

[١] - أسامة إبراهيم حسيب : المرجع السابق ، صـ٨.

- Parker , op.cit.,p.16 ; E.H.D. , op. cit., p.155 ; Laud, op. cit., p.17.

[٢] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ ٦٢- ٦٥.

- Monmouth , op. cit .,pp. 221-250.

والعودة إلي بريطانيا ، وتحالف العشيقان مع الإنجليز وعقدوا معاهدة تعيد لهم العديد من الممتلكات والأراضي التي حصلوا عليها في عهد الطاغية فورتيجرن . وعاد القائد الإنجليزي سيرديك ومعه أسطول ضخم يتكون من ثمانمائة سفينة محملة بالمؤن والمقاتلين ، واستعدوا تماما لملاقاة أرثر ، وعقب وصوله دب الذعر في الجيش البريطاني ، وفر الآلاف من جنوده نظرا لضخامة أعداد الانجليز ، إلا أن أرثر سرعان ما استعاد توازنه ، وأنقلب بقوة وشجاعة علي المتحالفين ، وحقق نصرا عظيما عليهم وفرت زوجته الخائنة جنيفير إلي أحد الأديرة تكفيرا عن خطاياها ، واستمر في مطاردة الخائن الأخر موردرد ، ولحق به عند كورنول وقطع رأسه وكذلك سيرديك القائد الإنجليزي الشهير ، وخسر أرثر الآلاف من رجاله وإذا كان أرثر جريحا بجرح بالغ فقد لجأ إلي جزيرة أفالون -Avalon – مع أخته الساحرة مورجان – Morgain – التي كان يمكن رؤية أراضيها من بعيد، ولا يمكن الوصول إليها – أي أنها كانت كالسراب وبقي هناك فترة في انتظار الوقت المناسب للعودة لإنقاذ إنجلترا من الغزاة ، إلا أن جرحه كان مميتا لذلك استدعي قنسطنطين – Constantine- ابن كادور دوق كورنول ، وأوصي له بالعرش وتوفي أرثر سنة ٥٤٢م [١] .

وبتوليه قسطنطين ثار الإنجليز من جديد بالتحالف مع ولدي موردرد ، وتجددت المعارك بين الإنجليز والبريطانيين , وكان التفوق للبريطانيين وطارد قسطنطين ولدي موردرد ، حيث حاصر الأول في لندن وأسرة وذبحه فوق مذبح أحد أديرتها والآخر حاصره في ونيشستر وأسره وذبحه فوق مذبح كنيسة القديس أمفيلانوس St. Amphilanus – وساد الأمن والسلام ربوع بريطانيا في الفترة من سنة ٥٢٤م حتي ٥٤٦م ، وعند وفاته تولي خلفا له ابن أخيه أورليوس كونانوس –Conanus . A – وسادت العلاقات الإنجليزية البريطانية السلام طوال عهد كونانوس حتي وفاته سنة ٥٤٩م وتولي خلفا له فورتيبريوس –Vortiporius- وان كان قوي وعنيد عن سابقه لذلك ثار الإنجليز عليه ، واستدعوا المزيد من الإمدادات وعلي رأسهم القائد العظيم سينريك وولده كيولن Clealen- - فهاجموا البريطانيين في سالسبوري سنة ٥٥٢م . وهاجم سينريك وولده البريطانيين في قلعة ماربوري – Marbury – وفشلا في اقتحامها ، وكان رد الفعل البريطاني عنيفا إذ حشد فورتيبريوس جيشه وهاجم الإنجليز وهزمهم هزيمة نكراء ، وأجبر ملوكهم وقادتهم علي الاعتراف بسلطانه، وساد الهدوء بريطانيا من جديد واستمر علي امتداد عصره . ومات سينريك أعظم القادة الإنجليز سنة ٥٦٠م [٢] .

---

[1] - Monmouth ,op. cit ., pp. 257- 262.

[٢] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٦٧- ٦٩.

- Monmouth , op. cit., pp 262-265 ; E.H.D , op .cit., p. 156 ; A S C. , op. cit.,p 36 ; Laud, op, cit. , pp.17-19.

وخلفه في حكم الإنجليز وفي زعامة مملكة وسكس التي سيطرت علي كل الممالك الإنجليزية الملك كيولن (٥٦٠- ٥٩٢م) ، والذي خطط للمقاومة ضد البريطانيين وسار عليها عشرات السنين وامتدت ما بين نهري التايمز والسفرن ، وفصلت بين بلاد الغال الغربية وشبه الجزيرة الممتدة في الجزء الجنوبي الغربي منها [١] .

وأسس كريدا –Crida- في عام ٥٨٤م بين الإنجليز الشرقيين والكامبريين مملكة مرسيا – Mercia(حدود مارس) متخذا لنكولن أوليستر عاصة له ، وبإضافة الثلاث ممالك الإنجليزية إلي الأربعة السكسونية اكتملت الحكومة السباعية وهي كالتالي :-

الأربعة السكسونيين هم :-

١) كنت وأسسها هنجست وعاصمتها كانتربري .
٢) سسكس وأسسها إيلا وعاصمتها تشستر .
٣) وسكس وأسسها سيرديك وعاصمتها ونشستر.
٤) إسكس وأسسها سينريك وعاصمتها لندن .

أما الثلاث ممالك الإنجليزية فهي :-

١) نورثمبريا وأسسها أيدا وعاصمتها يورك .
٢) وإيست أنجليا وأسسها أوفا وعاصمتها نورتش .
٣) ومرسيا وأسسها كريدا وعاصمتها ليستر .

وبإضافة الثلاث ممالك الإنجليزية إلي الأربعة السكسونية اكتملت الحكومة السباعية ، وأصبح القطر الذي حكمه الرومان منقسما إلي سبع ممالك بربرية صغيرة اتحدت فيما بعد في مملكة واحدة وكون القادمون الجدد عنصرا كبيرا في الشعب[٢] .

وتولي بعد ذلك الملك أثلبرت –Aethelbert – (٥٦٠- ٦٠٦) وكان من أبرز الشخصيات الإنجليزية وحكم كنت ، وترجع عظمة هذا الملك إلي أنه عمل علي توحيد البلاد ، وقد اتخذ في سبيل ذلك طريقة القوة حينا وطريق الدبلوماسية حينا أخر ، وساءت علاقاته مع كيولن ملك وسكس ، أدي ذلك إلي انقسام الإنجليز ، فريق مع كنت والآخر مع وسكس والثالث علي الحياد أدي ذلك إلي فترة سلام طويلة بين البريطانيين والإنجليز حتي عام ٥٧١م كما اتخذ خطوة في غاية الأهمية

---

[١] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق، صـ٣٢.
- Orton , Out Lines of Med. Hist. , pp. 95-96.

[2] - Bede , op.cit.,p 56 ; E.H.D. ,op. cit , pp.10-12 ; Fisher , op.cit.,pp.123 - 177 ; D U., op. cit , p 865.

تركت أثرها في تجمع الممالك الإنجليزية في أمة واحدة ، وهي اعتناق المسيحية بأيعاذ من زوجته برتا [١] .

وتوفي الملك البريطاني فورتيبريوس ، وخلفه مالجو أعظم ملوك بريطانيا وأكثرهم تناقضا في شخصيته , وقد اتسم عصره بانغماسه هو كبار قادته في الخمور والجنس , مما أغضب عليهم الرب والشعب , ورغم ذلك فقد كان قائدا ماهرا ماكرا ، أحكم قبضته علي شعبه ودان له الايرلنديين والايسلنديين والدانمركيين والنرويج , وكذلك الإنجليز بالطاعة والولاء وحاول الإنجليز جس نبضه كعادتهم ، فهاجموا جيشه بقيادة كبير قادتهم كونولف – Cunwulf- وانتصروا علي مالجو في موقعة بيد كانفورد –Biedcanford – واحتلوا اربع مدن ليمبري-Limbury- وايلسبري -Aylesbury- وبنسنجتون –Bensington – وإينشام Eynsham- وأصيب كونولف بجرح قاتل وتوفي في نفس العام ٥٧١م [٢] .

وعاود الإنجليز الهجوم علي البريطانيين ، حيث قام كيولن ملك وسكس بمهاجمة البريطانيين في معاقلهم سنة ٥٧٧م , وذلك للثأر من هزيمتهم سنة ٥٧١م . وحقق نصرا عظيما علي البريطانيين في موقعة ديرهام ، وقتل ثلاثة قادة بريطانيين وهم كونميل –Conmail- وكونديدان Condidan- وفارينميل – Farinnail- واحتلوا ثلاثه مدن بريطانية جديدة وهي باث وجلوسستر وسيرنيستر –Cirencester- وعاد بالأسلاب والغنائم والأسري، وازداد عدد العبيد البريطانيين الذين سخروا لخدمة سادتهم الإنجليز. وبعد أفاقة البريطانيين من صدمة الهزيمة تعددت المعارك بين الجانبيين ، وقد تقاسما خلالها النصر والهزيمة علي امتداد قرابة ست سنوات من ٥٧٧م إلي ٥٨٣م. وهاجم الإنجليز بقيادة كيولن وكوثا بجيش عظيم في المعركة الدامية التي دارت رحاها في منطقة –Fepunleag- شمال شرق أكسفورد وقتل فيها كوثا وغضب كيولن، وحمل علي البريطانيين فهزمهم وبدد شملهم وطاردهم وأحرق ودمر ديارهم وعاد بالأسلاب والأسري إلي مملكته , ويبدو أن النصر الذي أحرزه كيولن سنة ٥٩٢م لم يكن حاسما لأنه خسر عدد كبير من رجال ما بين قتلي وجرحي وأسري وهذا ما يفسر جنوحه إلي السلام ، وكسب ود الملك البريطاني مالجو وشعبه ، ووسع رقعة أملاك الإنجليز علي

---

[1] - William of Malmesbury Hist. of the kings of England , Trans from Latin , by Stephenson , London ,1989, pp.12-13.

[٢] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ ٧٠ -٧١.

- Campbell , op.cit.,p.26 ; E.H.D. , op. cit., p. 156 ; Laud , op. cit., p.19 ; Parker , op. cit., p .18.

حساب البريطانيين . وأسس كريدا مملكة مرسيا أخر الممالك الإنجليزية سنة ٥٨٤م [١].

وتوفي مالجو سنة ٥٨٤م وقد خلفه كيريدك –Keredic- الذي ما أن تولي حتي بدأ العد التنازلي لزوال اسم بريطانيا والبريطانيين وبزوغ اسم إنجلترا والإنجليز ، والسبب في ذلك يرجع إلي ضعف شخصية كيريدك وتصارع قادته وأطماعهم الشخصية ، وتطلعهم للانقضاض علي الحكم وقيام الحروب الأهلية ، وشيوع الزنا والفاحشة في بريطانيا . وانتهز الإنجليز فرصة تردي الأحوال السياسية والعسكرية والاقتصادية في صفوف البريطانيين وأصدر ملوكهم أوامرهم لمقاتليهم باجتياح القري والمدن والحقول البريطانية ، فأحرقوا كل مالا قوة من بيوت وكنائس وصوامع ومزارع ودمروا الحرث والنسل ، ولرغبة القادة الإنجليز في تفريغ الجزيرة من سكانها وتوطيد بني جلدتهم فيها ، وأمروا جنودهم بقتل كل من قاومهم من البريطانيين وعلي رأسهم رجال الدين ، وسيطر الرعب علي النفوس وهرب الجميع إلي ويلز وكورنول وأبحروا عبر القنال الانجليزي إلي اموريكا طلبا للنجاة ، وتركوا بلادهم خاوية علي عروشها ، وتم إحلال الإنجليز مكان البريطانيين في الجزيرة [٢] .

وتحدث المؤرخ – مونموث – عن زوال الهيمنة البريطانية علي الجزيرة بقوله : أن سوء أحوال الحكام البريطانيين وتصارعهم علي السلطة وانغماسهم في الملذات ، وإشباع شهواتهم الجنسية وبعدهم عن الدين ونسيانهم الرب، وقال " إن البيت المنقسم علي نفسه لابد أن يسقط ولما كان البريطانيين قد انقسموا علي أنفسهم , ولم يخضعوا لملك واحد سلط عليهم الرب أكثر الناس كفرا ، فأطاح بكيانهم ودمرهم ، وفاقا لما اقترفوه من آثام وكفر بنعم الرب لذلك اختفي اسم بريطانيا والبريطانيين وظهر اسم إنجلترا والإنجليز [٣] .

---

[١] - مرسيا : Mercia- مشتق من الاسم القبلي Mierce – أو هو تحريف له ، ومعناه سكان الحدود ، وسكان مرسيا من القرن السابع حتي نهاية النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ، كان يقدر عددهم بحوالي اثني عشر ألف أسرة تعيش سبعة ألاف أسرة منهم في المنطقة الممتدة شمال نهر الترنت –The Trent- أما الأسرة الأخرى ، فكانت تعيش جنوب النهر نفسه ، ومرسيا يمثلها اليوم المقاطعات الاتية : ستافورد – ودربي – ونوتنجهام – ووريك –وليستر. انظر في ذلك :

- Bede , op. cit ,p.185 ; Monmouth , op. Cit. ,pp.263-264 ; Roger of Wendover ,vol .1, p. 53 ; Compbell ,op cit , p.27; Stanton , op. cit.,p. 38 ; E.H.D., op, cit. , p.158 ; parker , op. cit., p.20 ; Hart C., The kingdom of Mercian Studies , Leicester, 1977, pp . 47-49 .

[٢] - مصطفي الكناني : المرجع السابق ، صـ٧٤- ٧٦.

- Parker op. cit.,p. 19 ; E.H.D., op. cit., p.156 ; A S C ., op. cit., p.36.

[3] - Monmouth ,op. cit , pp. 263- 265 .

وكان الصراع مازال علي أشده في الجهات الشمالية من الجزيرة بين البريطانيين والإنجليز غير أن تقدم الإنجليز نحو حوض نهر مرزي في بداية القرن السادس قتل الواحدة الوطنية بين البريطانيين في الجنوب والشمال بقطع الصلة الجغرافية بين أجزائها ، وصارت مصائر الجزيرة منذئذ بين الذين محوا ما كان لروما من دلائل السيطرة والسلطان في بريطانيا ، أي اللسان اللاتيني ، والديانة المسيحية والمدن الكبيرة والنظم الرومانية . وفرض الانجليز لغتهم ونظمهم ووثنيتهم علي الجزيرة بعد أن صار أسمها إنجلترا علي أن الجزيرة لم تفقد أجناسها القديمة من أيبريه وكلتيه وبريطانية ، فظلت الروح البريطانية حية ما بقي الدم البريطاني يجري في عروق أهله [١] .

وتجلت الوحدة الوطنية الكلتية بإطلاق لفظ كمبري –Cymbry- ومعناه الإخوان علي جميع الكلتين من أهل الغال بالجنوب وأهل ستراثيكليد– Strathyciyde بأقصي الشمال غير ان تقدم الإنجليز نحو حوض نهر مرزي –– Mersey فيما بين سنتي سنة ٥٥٠إلي ٦١٦م أفسد تلك الوحدة الوطنية بقطع الصلة الجغرافية بين أجزائها ، فشالت كفه البريطانيين وأصبحت مصائر الجزيرة منذئذ بيد الإنجليز الذين أخذوا يفرضون لغتهم ونظمهم علي جميع السكان . لكن العناصر البريطانية وان فقدت لغتها وأنظمتها من جراء ذلك , فإنها لم تفقد روحها وذاتيتها ما بقي الدم البريطاني يجري في عروق أهله . ولذا ظلت الروح البريطانية حية دون أن تضعف ، ولعل بعض السر في ذلك أن مملكة وسكس وهي زعيمة الممالك السكسونية , وأكثرها توفيقا وثباتا كانت هي التي امتزج أهلها بأكبر نسبة من الكلتين ، بحيث أثمر فيها امتزاج العناصر أوضح الأثمار [٢] .

وينجلي الظلام عن بريطانيا في نهاية القرن السادس بالتحديد في سنة ٥٩٧م عند مقدم أول بعثه تبشيرية علي رأسها القديس أوغسطين ، فتبدو بريطانيا وتغيرت معالمها فصارت جرمانية وثنية ، وتغير أسمها فأصبح إنجلترا بدلا من بريطانيا ، وحل مجتمع جرماني بدائي محل مجتمع كلتي تابع للإمبراطورية الرومانية ، وغدت اللغة جرمانية خالصة والإله المعبود اسمه أودين , وأول ما نزل أوغسطين في مدينة كانتربري عاصمة كنت , وأصبح أوغسطين أول رئيس لاساقفة كانتربري سنة ٥٧٩ – سنة ٦٠٥م ، وأمن أهل كنت بالمسيحية وتبعهم سائر البلاد الجنوبية بالجزيرة [٣] .

وقد عاقت الحروب الداخلية الإنجليزية تطور الممالك السبع ، فقد اندلعت الحروب الطاحنة بين تلك الممالك ، واهتم ملوكها بإثارة البغضاء وشن الحرب فيما بينهم ، وسمت همة بعضهم لنيل الزعامة في تلك الدويلات الجرمانية . وتصفية

---

[١] - نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٣٢- ٣٣.

[٢] - راوس : المرجع السابق ، صـ٢٥.

[3] - Davis, op. cit , pp.3504 -3505.

أملاك جيرانهم واحتواء ممالكهم ، فإذا أنزل أحدهم الهزيمة بالأخر احتوي أرضه وأضافها إلي مملكته أو ألزمه بدفع إتاوة معينة ، وإذا استطاع أحد هؤلاء الملوك إلحاق الهزائم بكل أنداده ومنافسيه ، حصل علي سيادة إنجلترا كلها وما حدث في مملكة كنت التي كونها الجوت ، وقد كانت جنة إنجلترا منذ القدم وأعظم جهاتها تقدما وحضارة يؤكد هذه الحقيقة ، فقد ظهرت مدنية هذه المملكة قديما من عناصر حضارية متنوعة ، وظلت علي صلة بجيرانها من البريطانيين الرومانيين . فضلا عما قام بينها وبين شعوب أوربا من علاقات تجارية وصلات اجتماعية وشهدت هذه المملكة أوج عظمتها في عهد الملك أثلبرت وانتشار المسيحية فيها[١] .

وبعد فترة من الزمن فقدت مملكة كنت الجوتية قيادتها وأصابها الذبول ، وأخلت مكانها إلي مملكة أخري تقدمت الصفوف وحملت لواء الزعامة ، وتكرر ذلك أيضا في مملكة نورثمبريا الإنجليزية التي ما لبثت أن حازت السيادة في إنجلترا بفضل اتصالها بالمسيحية ، فحلت القبائل الإنجليزية في نورثمبريا وليستر وبدفورد وكامبريدج ، وفي أقصي الشمال نزل البرسيون وهم فرع من الإنجليز ، وامتزجوا بالكلتين امتزاجا وثيقا نشأت منه مملكة نورثمبريا ، التي استقامت لها ولحضارتها الكلتيين زعامة الممالك الثابتة بشمال الجزيرة ، ولقد ازدهرت مملكة نورثمبريا في القرن السابع ولاسيما تحت حكم الملك أوزولد – Oswald- وظلت رائدة الممالك الجرمانية حتي سنة ٦٥٨م ، ولكنها اضطرت بعد ذلك إلي الانزواء ، وترك القيادة لمملكة إنجليزية أخري ، ثم كانت نهايتها علي يد زعيم القراصنة الدانيين هنجورا سنة ٧٦٦م بين ما اكتسح من الممالك الإنجليزية الواقعة بين التايمز والكليد في حملة واحدة وخاطفة ، فأكره أهل هذه الممالك علي دفع ضريبة الذهب الداني الدانجلد –Danegeld- [٢] .

ثم صارت بعد ذلك الزعامة لمرسيا بعد أن كانت علي امتداد الثلاثة أرباع الأولي للقرن السابع الميلادي مجرد دويله لا حول لها ولا قوة ، مندرجة في الاتحاد الكونفيدرالي الذي يضم الممالك الإنجليزية الواقعة جنوبي الهمبر تحت زعامة

---

[١] - محمد مرسي الشيخ : أوربا في العصور الوسطي، صـ١٢٥؛ فشر : المرجع السابق ، ق١، صـ٤٩- ٥٠ .

- Oman , op. cit., p.193 .

[٢] - الدانجلد : ضريبة فرضها الملوك الأنجلو سكسون في القرن العاشر الميلادي كوسيله لتمويل الجزية ، التي كان ينبغي دفعها للغزاه الدانمركين في عهد الملك أثلرد الثاني (٩٨٧-١٠٦٦م) وعادة ما كانت قيمتها شلنين ، ولكنها أحيانا تصل إلي أربعة سنتات او أكثر ومصطلح الدانجلد لم يعرف إلا بعد الغزو النورماندي ، وفرضها وليم وهنري الثاني حتي سنة ١١٦٢م لأغراض حربية لمواجهة نفقات الحرب .

- محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق , صـ١٦؛ انظر: سعداوي المرجع السابق ، صـ٣٦ ؛ أسامة إبراهيم حسب : إنجلترا تحت الحكم النورمان ، حاشية ١، صـ٥٨ .

- Cross, op. cit., p .81.

أثبلرت ، والثابت أن ملوك مرسيا السبعة الأوائل لم يستكينوا ، وظلوا يخططون لتدعيم استقلال مرسيا والنهوض بها ، بتنشيط التجارة وتشجيع الزراعة والصناعة مستغلين موقع مرسيا التجاري الهام لكونه مركز اتصالات له أهميته في وسط إنجلترا . ولقد تم ذلك بدءا بعصر الملك بندا – panda- (٦٣٢-٦٥٤) وهو المؤسس الحقيقي لمملكة مرسيا ، وقد وضعها علي خريطة الممالك الأنجلو سكسونية من الناحية السياسية والاقتصادية من خلال الحروب المستمرة ضد الممالك أو من خلال دخوله في علاقات تجارية أثرت علي المملكة , ولقد أشادت ببطولته قصص البطولة الجرمانية – Germanic- وأبرزت استبساله في الدفاع عن مرسيا حتي الموت سنة ٦٥٤م[١] .

وتولي خلفا لبندا ولده بيدا –peada- (٦٥٤-٦٥٦م) وكانت فترة حكمة قصيرة ، ولم تكن بها أحداث مهمة تذكر . وقد اغتيل بتدبير من زوجته سنة ٦٥٦م ، وتولي خلفا له علي العرش شقيقة ولفهير –Walfhere- (٦٥٧- ٦٧٤م) وحكم لمدة سبع عشر سنة[٢] .

وتولي بعد ذلك عرش مملكة مرسيا شقيق ولفهير المدعو إيزلريد – Ethelred- وقام بالعديد من الأعمال الإصلاحية ، وعمل علي توسيع دور العبادة ، وبحق كان هذا الملك صالحا وعادلا وورعا ، واستمرت فترة حكمه حوالي ثلاثون عاما ، وبعد اعتزاله الحكم تفرغ تماما للعبادة في دير ليندسي – Lendsey – وتولي خلفا له ابن أخيه ولفهير المدعو كونيرد – Coenred- (٧٠٤-٧٠٩م) واعتزل الحكم من تلقاء نفسه دون أي ضغوط داخلية أو خارجية عليه [٣] .

وخلف كوينرد كيولريد – Ceolred-(٧٠٩-٧١٦م) أحد أبناء إيزليرد ، وكان شابا فاسقا يعشق الجنس والخمر ، فكرهه شعبة وتمني الخلاص منه ، وبموته انقطعت سلالة بندا مؤسس مملكة مرسيا وخلفه علي العرش الملك إيزلبالد – Eathelbald- (٧١٦-٧٥٧م) حفيد المدعو إيوا – Eawe- شقيق بندا ، وكان إيزلبالد يعيش في المنفي ، ثم عاد عقب موت كيولريد وتولي الحكم هذا وبعد جهود وحروب شرسة بينه وبين مملكتي وسكس وكنت ، أخضع إيزلبالد المملكتين وضمهما في اتحاد كونفيدرالي بالإضافة إلي غيرها من الأراضي تحت زعامته ، فانتهز فرصة موت ملك كنت ويهتريد –Wihtred- سنة ٧٢٥م ، وتنازل ملك

---

1 - E.H.D. ,vol .1, pp. 690- 695 ; Bede, op. cit., pp.176-201 ; Laud , op. cit, p.40. .

2 - Stenton ,op, cit., pp.203-330; Parker, op.cit.,p.40 ; Wilson .D ,The Anglo-Saxon , London , 1972 , pp.30-31 .

3 - Bede ,op, cit., pp.185-201 ; Stenton , op, cit., pp.303-320 ; Loud , op. cit., p.40 .

وسكس اين –Ine- عن العرش سنة ٧٢٦م ، واضعا بذلك النواة الأولي لوحدة الأمة الإنجليزية [١] .

ويعتبر الملك إيزالبالد واضع اللبنة الأولي في صرح وحدة الانجلو-سكسون أو الأمة الإنجليزية تحت سيادة مرسيا ، فعلي امتداد عصره الطويل نسبياً (٤١ عاماً) خاض حروباً طاحنة في هذا السبيل ، وكانت المحصلة أن دبرت مؤامرة أودت بحياته غدرا عام ٧٥٧م . بعد أن كان قد نجح في ضم كل من مملكتي وسكس وكنت ، فضلا عن الأراضي الواقعة فيما بين نهر الهمبر والقنال الإنجليزي في اتحاد كونفيدرالي مع مرسيا برئاسته ، واعترف به ملوكها برتوالدا – Bertwalda [٢].

وأغتيل إيزالبالد بواسطة أحد حراسة الخصوصين أثناء نومه ليلاً في مدينة سيكنجتون –Sekengton – بالقرب من تامورث –Tamworth – ودفن في ريبتون . ولقد اختلفت الآراء حول أسباب مصرعه، فالمؤرخ – ستنتون- يعزي موته إلى بطشه وجبروته ، مما أغضب المحيطين به وقرروا قتله ، وهناك رأي المؤرخ –روجر هوفيدن – حيث ذكر أن ملك وسكس جوثريد –Guthred- توفي قبل إعتلاء أوفا العرش بعام واحد سنة ٧٥٦م قد تأمر مع بيورنرد للتخلص من إيزلبالد مقابل عرش مرسيا ، فقام الأخير بقطع رأس إيزالبالد وتولي العرش فنشبت الحرب الأهلية , هذا وكان إيزالبالد قد مهد الطريق أمام بن عمه وخليفته الملك اوفا لتولي عرش البلاد , وتم له ذلك بالفعل بعد فرار بيونرد خارج البلاد[٣] ، ويرجع فرار بيورنرد خارج البلاد لأنه عقب مصرع الملك إيزلبالد أغتصب العرش وهو مجهول النسب ، ولعدم نجاحه في تأكيد صحة نسبة الملكي إلي الإله الجرماني أدون حسبما هو متبع عند توليه الملوك الأنجلو- سكسون العرش طبقا للعرف ،

---

[1] - parker, op. cit, p.40 ; Wilson, op. cit., pp.30-34.

[٢] - برتوالدا :هو حاكم بريطانيا ، حيث كانت الممالك الواقعة جنوبي الهمبر ، لفترات طويلة ممتدة، تحت حكم سيدا واحد عرف وفقا لمصدر موثوق به يرجع إلي القرن التاسع باسم برتوالدا ، ولم يكن هذا مجرد لقب أجوف فقد كان اتباعه من الملوك يدفعون له جزية ويحضرون مجالسه من وقت لأخر . كما كان عليهم الحصول علي موافقته علي الهبات التي يمنحونها من الأرض ، ويحاربون تحت لوائه زمن الحرب . انظر في ذلك :

-هارتمان وباركلاف : الدولة والإمبراطورية، حاشية ، صـ٢١٧ ؛ مصطفي الكناني عصر الملك أوفا ملك إنجلترا (٧٥٧- ٧٩٦م) الإسكندرية، ١٩٨٦، صـ٦٥.

- White Lock , op.cit.,p . 48 ; Roger de Hoveden , op. cit., pp .2-5 ; Parker , op. cit., pp.46-47; laud , op. cit., pp. 49-55 ; Wilson , op, cit., p. 30 ; E.H.D ., vol.1, p.266 ; Stenton , op. cit., p 204.

[3] - Stenton, op. cit., pp. 204-205 ; Roger de Hovedon , op. cit., pp.1-5 ; E.H.D. ,vol .p.176.

لذلك ثار ضده أهل مرسيا ، واستعرت مرة أخري نيران الحرب الأهلية في مرسيا ، أدي ذلك إلي فراره من مرسيا وتولي الملك أوفا عرش مرسيا[١] .

وبعد تولية الملك أوفا مقاليد الحكم سنة ٧٥٧م ، عمل جاهدا علي محو أثار الحروب الأهلية التي استعرت نيرانها في مرسيا عقب مصرع إيزلبالد . واستعد الملك أوفا عسكريا من أجل إخضاع باقي الممالك وتوحيدها تحت سلطان مملكة مرسيا ، وأول هذه الممالك التي حاول إخضاعها ، هي مملكة كنت عقابا لها علي خروجها عن سلطان مرسيا ، منتهزه فرصة نشوب الحرب الأهلية التي سادت مرسيا لذلك استعد الملك اوفا جيدا من الناحية العسكرية وحشد قواته وهاجم كنت ، وأعادها إلي عصمة اتحاده الكونفيدرالي سنة ٧٦٤م[٢] ، وهناك دلائل ووثائق تؤكد علي ظهور الملك اوفا في كانتربري عاصمة كنت سنة ٧٦٤م في صحبة هيهبرهت ملك كنت ورئيس اساقفتها وفي سنة ٧٧٤م استطاع اوفا أن يستعيد هيمنته علي مرسيا ، أن زعماء كنت قد ألمتهم سيطرة المرسيين عليهم فقرروا التخلص من هذه السيطرة . فحشدوا قواتهم وهاجموا جيش الملك اوفا سنة ٧٧٤م ، ونشب قتال شرس ومرير بين الطرفين في معركة أوتفورد – Otford - وكانت المعركة نصرا حاسما للكنتيين [٣] .

وأدت معركة ارتفورد وهزيمة الملك اوفا إلي توتر العلاقات بين الملك وكنت علي امتداد عشر سنوات كاملة , وأستغل أوفا هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبيا، وأعاد تنظيم قواته وأعد تدريبهم لأخذ الثأر من الهزيمة السابقة ، وحاول بكل الطرق استفزاز كنت لجرها إلي معركة حاسمة استعد لها جيدا , فقام بإصدار عدة قرارات تتلخص في سلب رجال الدين امتيازاتهم واختصاصاتهم وعلي رأسهم رئيس أساقفة كانتربري –عاصمة كنت – الذي جرده من منصبه تماما وإثارة البابوية المتحالفة مع كنت ، وإضعافا لسلطان الكنيسة الرومانية في إنجلترا أصدر أوفا عدة قرارات هدت سيادة روما ، وهددت إنجلترا كلها بإخراجها من حظيرة المسيحية . ولخطورة هذه القرارات تحالف البابا مع ملك كنت ، وحرضه علي مهاجمة مرسيا ، وقتل الملك أوفا وذكره بانتصاره السابق علي أوفا سنة ٧٧٤م ، ولكن الكنتيين فوجئوا بالملك اوفا يهاجمهم ، وباغتهم بهجوم ساحق سنة ٧٨٥م ، وأخضع كنت لسلطانه وضمها إلي أملاكه الواسعة ، حيث ظلت تحت سلطانه المباشر ، وحكمها بقبضة من حديد حتي نهاية عصره سنة ٧٩٦ [٤] .

---

1 - Parker , op. cit., p. 46 ; Stanton , op. cit.,p 203 ; Laud , op, cit., p .49.

2 - Cartularum Saxonicum , ed G W de Birch , vol .1 , London , 1885 – 1893 , pp.154-190.

3 - E.H.D., Vol .1,p 178 ; Roger of Westminster , vol.1 , p.361 ; Roger de Hoveden ,vol .1 p.25, Stenton , op. cit. ,p.207 ; Laud , op. cit., p.50 .

4 - Stenton , op. cit., pp.207-216 ; Cartularum Saronicum, vol .1 , pp. 197-206 .

أما عن علاقة الملك اوفا بمملكة سسكس التي أسسها الملك الإنجليزي إيلا سنة ٤٩١م ، وثاني الممالك الإنجليزية بعد مملكة كنت , والتي أسسها هنجست سنة ٤٥٥م وكانتا متجاورتين ، وحاول الملك أوفا بكل الطرق إدخال سسكس إلي اتحاد ممالك الإنجلو سكسون الكونفيدرالي بزعامته . ولكن المملكة كانت في حالة يرثي لها بسبب تصارع كبار زعمائها علي عرش المملكة ، وأخذوا أجزاء عديدة من أملاك المملكة وكونوا مقاطعات صغيرة أو دوقيات وأتخذ بعض أصحابها لقب ملك ، وتنازعوا فيما بينهم علي الحكم فاستغل الملك أوفا هذه الفرصة ، وأنقض علي تلك المقاطعات وسيطر علي كل مملكة سسكس وأخضعها إلي سلطانه المباشر ، وترك لهم المملكة يحكمون باسمه بما هي عليه من انقسام ضمانا لعدم الانفصال عن مرسيا , ومنح هؤلاء الحكام لقب دوق –Dux – ومنح اوفا لقب الدوق لاربعة من قادة السكسون الجنوبيين في سسكس ، وتفيد الوثائق أن أحدهم قد منح نفسه فيما بعد لقب ملك –Rex- رغم خضوعه لسلطان الملك أوفا المباشر , وأحكم اوفا سيطرته علي وسسكس مضيفا بذلك لبنة جديدة في صرح وحدة الأمة الإنجليزية الذي سعي لبنانه طوال حياته [1] .

أما عن علاقة الملك أوفا بمملكة وسكس التي أسسها سيرديك سنة ٥١٦م ، وهي المملكة القوية التي كان لها بأسها وملوكها الأقوياء قبل الملك اوفا فعقب مصرع الملك إيزالبالد ملك مرسيا سنة ٧٥٧م ، قام كينولف صاحب وسكس من فوره بالهجوم علي المرسيين , واستعاد معظم أملاك السكسون الغربيين منتهزا فرصة الحرب الأهلية والفوضي ، التي عمت مرسيا عقب مصرع إيزالبالد من جهة وانشغال أوفا بإعادة تنظيم المملكة من الداخل من جهة أخري . وكان إيزالبالد قد هيمن علي وسسكس وأدخلها في نطاق الاتحاد الكونفيدرالي الذي أنشأه بزعامته , ومن ثم جابت شهرة كينولف الآفاق وتملكه الغرور إلي حد أنه تجرأ وهاجم أملاك الملك اوفا في مرسيا . واستولي علي شريط ضيق من الأراضي التابعة لها شمال نهر التايمز ، وما أن علم الملك أوفا بالأمر حتي قام من فوره بإعداد جيشه وخرج لاستعادة ما استولي عليه كينولف من أراضي ، واضعاً في حساباته السيطرة الكاملة علي وسكس ، وضمها مباشرة إلي أملاكه في بنسينجتون القريبة من قرية بنسون –Benson التقي الجماعان , ودارت رحي معركة شرسة انتهت بهزيمة كينولف عام ٧٧٩م ، واستعاد أوفا كافة أملاكه المغتصبة من قبل ، ولما كان كينولف مشهودا له بالاعتزاز بالنفس والعناد الشديد لذا تقبل الهزيمة علي مضض وانسحب بفلول جيشه , وعاد إلي وسكس واضعا نصب عينه حتمية الثأر لهزيمته السابقة . ولكن مشيئة الرب كانت أقوى إذ حدث سنة ٧٨٦م أن ثار المدعو كينهيرد -Cyneheard- شقيق الملك سيجبرت –Sigbert- احد الملوك الذين حكموا وسكس منذ ثلاثين عاما مضت ، وكان يطمع في التخلص من كينولف والسيطرة

[1] - Cartulaum Saxonicum ,vol.1. pp.206-208 ; E.H.D., vol.1,p.504 .

علي العرش خرج كينولف لملاقاة عدوه وحسم الصراع معه في معركة فاصله ليتفرغ بعدها للثأر من أوفا ، ولكن شاءت أرادة السماء أن تنتهي المعركة بمصرع الملكين المتنافسين علي عرش المملكة في سنة ٧٨٦م ، فأنفتح الباب بعد المعركة علي مصراعيه أمام الملك اوفا ، الذي أنطلق بجيشه إلي وسكس ، وسيطر عليها وضمها إلي أملاكه مضيفا بذلك لبنة هامة جديدة في صرح وحدة الأمة الإنجليزية ، اسمي أماله التي كرس حياته وكل إمكاناته من أجلها [١] .

نظراً لقوة مملكة وسكس فقد لجأ الملك اوفا إلي الدهاء والحيلة لمواجهة هؤلاء الملوك . وبما عرف عن أوفا من دبلوماسيه مشوبة بالمكر والدهاء ، وضمانا للسيطرة علي وسكس ، ووأداً لأي أفكار أنفصاليه من جانب ملوك وسكس للخروج عن سيطرة مرسيا . قام الملك اوفا بتزويج ابنته الأميرة إيدبره – Eadburh- إلي كبير هم المدعو بيورهتريك – Beorhetric- (٧٨٦-٨٠٢م) وجعله ملكا علي وسكس من قبله – يحكم باسم أوفا- وآمن أوفا العرش له وخلصه من منافسة إيجبرت بنفيه خارج سلطان إنجلترا ، واستمرت سيطرة مملكة مرسيا بقيادة اوفا علي وسكس حتي وفاته سنة ٧٩٦م[٢] .

وبدأ إخضاع أوفا لمملكة وسكس يتجه شرقا ، وأخضع السكسون الشرقيين في مملكة إيست إنجليا وأخضع حكامها ، وأصبحوا أفصال له وخاضعين إلي مرسيا وذكر - المؤرخين- أن أنجليا الشرقية انتهت أسرتها الحاكمة بموت إيلفد – Aelfwold – سنة ٧٤٩م ، وتنازع زعمائها علي العرش بسبب سوء حالة البلاد السياسية والاقتصادية ، وجلس علي كرسيها عدد من الملوك مجهولي النسب وكان ذلك يعد غير قانوني ، لذلك انتهز الملك اوفا الفرصة وفرض سيطرته علي مملكة أنجليا الشرقية ، وأصبح الملك أوفا زعيم عشيرة الإنجليز المقيمين علي الساحل الشرقي لبريطانيا العظمي ، وحصل لقب ملك انجليا الشرقية متخذا من نورتش – Norwich- عاصمة لمملكته ، وحاول ملك إيست أنجليا إيثلبرهت أن يتخلص من سيطرة مرسيا ، كما حدث من محاولات قامت بها من قبل ممالك وسسكس وكنت ووسكس وضحي أوفا بأعداد كبيرة جدا من أرواح جنوده لإكمال اتحاده الكونفيدرالي ، وغضب الملك إيثلبرهت ملك أيست أنجليا غضبا شديداً لأن اوفا جرده من اختصاصاته في مملكته كملك فانتظر الفرصة المواتية ليحرر بلاده من سيطرة اوفا ، لذلك تحالف مع البابا أوربان الأول للتخلص من أوفا ، وأن كانت مصلحتهم مشتركه البابا التخلص منه لإعماله المعادية للإيمان المسيحي وإيثلبرهت

---

[١] - مصطفي الكناني : الملك أوفا ، صـ٧٤- ٧٥.

-Laud , op , cit ,p. 51 ; Roger de Hoveden , vol .1 , p.26 ; Matthew Westminster, vol .1, p.369 ; Stanton , op, cit., p.209 .

[2] - E.H.D.,op. cit ,p .180 ; Stanton, op. cit., pp.209-210 ; Roget of Wendover, vol.1,p.165 ; Parker , op. cit., p .55 ; Roger of Hveden , vol.1,p.27.

لتحرير بلاده ، لذلك أعد أيثلبرهت قواته لمهاجمة الملك اوفا والمرسيين لتحقيق النصر المنتظر ، وعندما سمع أوفا هذه الأخبار بادر بسرعة لمقاتلة أيثلبرهت والتقي الجمعان في معركة فاصلة ، انتهت المعركة بهزيمة أيثلبرهت وأسرة في يوم الثلاثاء عشرون من مايو سنة ٧٩٤م ، وقام اوفا بنفسه بفصل رأسه عن جسده بلا رحمة . لتنتهي ثورة أيست أنجليا ، وتستمر في الخضوع لسيطرة ملك مرسيا أوفا[١] .

واستمرت جهود الملك أوفا في توحيد الممالك الأنجلو سكسونية تحت زعامته ، فبعد أن ضم ممالك كنت ووسكس وسسكس وإيست انجليا ، كان عليه أن يواصل بناء هذا الصرح العظيم من الوحدة ، فكان هناك بعض الممالك الأنجلو سكسونية التي خارج نطاق الوحدة ، وهي نورثمبريا التي أسسها إيد سنة ٥٤٧م ، وأسكس التي أسسها سنة ٥٢٦م وعاصمتها لندن ، وكذلك ليندسي Lindsey- - وكانت مملكتي ليندسي وأسكس الصغيرتين خاضعتين لسيادة مرسيا في عهد الملك إيزالبالد حتي وفاته سنة ٧٥٧م ، واستمرت تبعيتها في عهد الملك أوفا . وإن كانت مملكة مرسيا تعامل هاتين المملكتين السابقتين وملوكهم أقل مرتبة من الممالك الأخرى الكبري ، وعرفهم المؤرخين باسم Under kings ، وكان يقطع من مملكتهم بعض الأراضي إلي أتباعه دون الرجوع إلي ملوكهم . ويصدق علي قراراهم دوما, وكذلك معاملة أوفا لملك ليندسي ، وبذلك تأكد سيطرة اوفا علي كل الممالك الإنجليزية الصغيرة وخضوعهم لسلطانه[٢] .

مهما يكن فلا مراء في أن ما أنجزه الملك اوفا من نجاح في مجال توحيد الأمة الإنجليزية بزعامته ، يعزي في المقام الأول إلي ما حباه الرب من حنكه وجرأة في ميادين القتال ، فذاعت شهرته كرجل حرب وسياسة فريد الطراز ، ومن ثم أستحق عن جداره لقبي "ملك إنجلترا " و"ملك كل الإنجليز" وقد استخدمه أوفا لأول مرة سنة ٧٧٤م ، وذلك بالرغم من عدم وجود دلائل تؤكد تخطي سلطانه نهر همبر إلي مملكة نورثمبريا في ذلك العام , واستمرت علي مر الأعوام التالية طمعاً في العرش ، وظلت الحرب مشتعلة حتي عاد أثلريد المخلوع من منفاه ، بعد أن انتصر حزبه علي معارضيه سنة ٧٧٩م ، وهنا بما عرف عن الملك أوفا من بعد نظر سارع بتكثيف مساعداته لأثلريد ، وعرض عليه كفالة الحماية والأمان له ولعرشه نظير الانضمام إلي اتحاد الممالك الإنجليزية الكونفيدرالي بزعامته فوافق أثلريد علي الفور ضمانا لتامين عرشه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ضمانا لاستمرار تواجد نورثمبريا داخل نطاق الاتحاد ، وأنكح أوفا إحدى بناته المسماة

---

[1] - Laud , op. cit .p.55 ; Roger Hoveden ,vol.1,p.29 ; Stanton , op . cit., p.210 ; Parker, op . cit., p.54 .

[2] - Stenton , op. cit., pp.204-210 ; Matthew of Westminster , vol.1.,pp. 379 -380 .

إيفليد –Alefaeld إلي أثلريد ملك نورثمبريا . وبانضمام نورثمبريا إلي الاتحاد أكتمل بناء صرح وحدة الإنجليز لأول مرة في التاريخ تحت زعامة مرسيا [١].

والحقيقة أن أثلريد خضع تماما لسلطان الملك أوفا ، وتوطدت العلاقات بروابط المصاهرة بين أوفا وأثلريد ، حتي تم اغتياله بواسطة مؤامرة دنيئة ، دبرها أعدائه من النبلاء المقربين إليه بأيعاذ من البابوية وشارلمان المتحالف معها في سنة ٧٩٦ ، خرجت علي أثر مقتله المملكة من الاتحاد الكونفيدرالي ، والأكثر من ذلك عودة الاضطرابات والصراعات والفوضي إلي المملكة ، وهذا الاتحاد كان ضد شخص الملك اوفا نفسه وليس ضد مملكة نورثمبريا [٢] .

ويرجع المؤرخين وعلي رأسهم – ستنتون – أن مصرع أثلريد كان سببه صله النسب التي كانت تربطه بالملك أوفا . فنجد أن البابوية خشت أن يتأثر إثلريد بأفكار الملك اوفا المعادية للكنيسة والمسيحية ، لذلك خطط البابا للتخلص من أثلريد وأن كان الإمبراطور شارلمان له ضلع كبير في هذه المؤامرة التي أودت بحياة الملك أثلريد وأصبحت المملكة علي شفا حفرة من الاضطرابات والصراعات فقامت حروب أهلية بين مؤيدي الملك المقتول وأعوان المتآمرين . وتنصيب زعيمهم إيردولف ملكا علي نورثمبريا بمساعدة البابا [٣]. ورفض أهالي المملكة تولي إيردولف الحكم وثاروا ضده ، ففر خارج المملكة لحين هدوء الأوضاع والعودة مرة ثانية بمساعدة البابا لأن الحاكم الرسمي المفترض أن يتولي عرش نورثمبريا هو كينوولف قريب الملك أوفا . إلا أن البابوية كانت تخشي تولية العرش لذلك سعي إيردولف بكل الطرق للعودة إلي العرش عقب فراره ، فطلب من شارلمان مساعدته وإعادته فأرسل شارلمان إلي البابا ليو الثالث (٧٩٥- ٨١٦م) في أن يساعده في العودة إلي الحكم وبالفعل عاد إيردولف[٤] .

وكان هناك اتفاق مسبق علي ما يبدو ينص علي إعادة إيردولف للحكم مقابل التخلص من أخر سلاله الملك اوفا الملك كينولف ، ولقد اعترضت البابوية علي تولية العرش إيمانا منها أنه مثل الملك أوفا ، ففزعت من تصرفاته المعادية للكنيسة المسيحية والعقيدة الكاثوليكية ، ومما يدل علي هذا الفزع دخول كينولف في صراع مع ممثل البابوية في إنجلترا , وبلغ الصراع مداه بين البابوية وكينولف حتي أن البابا هدد بإصدار الحرمان ضده وضد إنجلترا كلها ، ولكنه عدل عن هذا القرار ، لذلك اتفقت مشيئة البابوية مع أفكار شارلمان في التخلص من كينولف عن طريق

---

[١] - مصطفي الكناني : الملك أوفا، صـ٨٦-٨٧.

- Parker ,op, cit , p.51 ; Roger de Hoveden , vol.1, pp.24-28 ; Roger Wendover, vol.1, pp.152-158 ; Stenton , op. cit., pp.190-200 .

[2] - laud , op. cit., p.57 ; parker , op. cit. , p.56 ; Stanton , 0p. cit., pp.93-94 .

[3] - Stenton , op. cit.,p. 94 ; parker , op. cit , p56 .

[4] - Stenton , op. cit., pp. 94-95 .

إيردولف ، وبالفعل في سنة ٨٠١م ، غزا الملك إيردولف مملكة مرسيا . والحقيقة أن شارلمان كان يهدف من مساندة البابوية وإيردولف ، حتي تتاح له فرصة التدخل في شئون شمال إنجلترا ، وحتي يواجه التحدي القادم إليه عبر القنال الانجليزي ممثلا في قوة الملك اوفا الرهيبة ، لذلك، وجد شارلمان فرصة عظيمة في طلب مساعدة إيردولف في التدخل في شئون نورثمبريا ، ومساعدة إيردولف للزحف علي مرسيا والقضاء علي أوفا[١] .

والحقيقة أن شارلمان كان يعمل ألف حساب للملك اوفا نظرا لقوته العظيمة فكان يسعي لمهادنته رغم كراهيته الشديدة له ، ويتضح ذلك في رسالة شارلمان إليه من أجل دوام السلام والسلم ، ومما يؤكد عظمة وقوة الملك أوفا في ذلك العصر رسالة أرسلها له شارلمان يتودد له ، ويطالبه بالسماح إلي أيزلهرد – Aethelheard- رئيس أساقفة كانتربري وكيولوف أسقف ليندسي بالعودة إلي بلديهما ، وعدم إلحاق الضرر بهم ، وطالب شارلمان من إيزلهرد وكيولوف بالتلطف والتودد في طلباتهم إلي الملك اوفا[٢] .

ويبدو أن شارلمان تدخل بطلب من البابا ، فأرسل شارلمان رسالة مع مبعوثه إلي الملك اوفا واستقبل الملك اوفا السفارة بالترحاب مهادنة منه للبابا وشارلمان ، وضمانا لعدم إثارة القلاقل أمام مجهودات أوفا لتوحيد الأمة الإنجليزية ، وحاول شارلمان جس نبض أوفا بان عرض عليه تزويج ابن شارل من إحدى بناته فرفض أوفا بشدة ، وطالبه بعكس الموضوع حيث يتزوج ابن اوفا إيجفيرث – Egfirth – من أبنه شارلمان الأميرة برثا -Bertha- فاستشاط شارلمان غضباً ، وأمر بوقف المفاوضات فوراً وسحب سفارته . وساءت العلاقات بين شارلمان وأوفا , ولقد وضع شارلمان نفسه في كفه ميزان واحدة مع البابا ضد الملك أوفا ، لذلك عمل شارلمان علي تأمين حياة وإيجبرت أحد أعداء أوفا المشهورين والطامعين في عرش مرسيا فثار هذا الأخير ضد اوفا ضد الذي هزمه بمساعدة بيورهتريك ملك وسكس سنة ٧٨٩ وكافأه أوفا بأن زوجه أبنته إيدبره . لذلك كان اوفا من القوة والتي دعت لتحالف البابوية وشارلمان ضده للتخلص منه ، لأفكاره المعادية للكنيسة والعقيدة المسيحية الكاثوليكية[٣] .

وتوفي الملك أوفا فجأة وهو في قمة مجده في يوم الجمعة التاسع والعشرين من يوليو سنة٧٩٦م , وأهملت المصادر الوثائق عن قصد مكان دفنه ، وكان من

---

1 - Stenton , op. cit., p.229.

2 - Lerter of Charles the Great to Offa king of Mercia ,796, CF ,E.H.D., vol.1, Do ,No,197, pp. 839 -848etter of Charles the Great to Aethelheard Archbishop of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindsey (793-796). CF, E.H.D., vol.1 , D.N,196. p.847 .

3 - Stenton , op. cit., pp.216-230 ; C.E.D., vol.III, p. 487, Letter of Alcuin to cduc (790) , (CF) E.H.D., vol.1, Doc,192 , pp . 840-841 .

المفترض أن يدفن داخل كاتدرائية عظيمة أو كنيسة كانتربري كغيره من الملوك الانجليز ، ولكن عندما توفي الملك أوفا تم نقله إلي بلدة صغيرة ، حيث دفن في مصلي صغير في بلدة اوفلي –Offley- الصغيرة داخل مبني متداع علي حافة نهر مشهور وهو نهر الأوسك –Usk- بتياراته وفيضاناته الجارفة ، كما لو كان الذين قبروه خططوا لذلك عن عمد ، علي أمل أن تجرف الفيضانات المبني بمن فيه ، فيزول أثر جثمان الملك أوفا ويصبح نسيا منسيا ، بسبب عدائه للبابوية والعقيدة المسيحية الكاثوليكية . وبعد فترة من الزمن أصاب مقبرته التصدع وأتلفها التسوس ، حتي انهارت مع المبني وغارت في أعماق النهر بفعل الفيضانات المدمرة علي مر السنين . وبذلت مجهودات عديدة من أجل اكتشاف مقبرة الملك أوفا ، ولكن مجهوداته فشلت من اجل اكتشاف مقبرة الملك اوفا وإخراج جثته ، ولكن الأقدار أبت أن تكلل تلك الجهود بالنجاح ، حتي أن الملك حنا ملك إنجلترا (١١٩٩-١٢١٦م) أصدر قراره بالبحث عن المقبرة ولكن كل جهودهم ذهبت سدى ليصبح هذا الملك العظيم مجرد ذكري[١] .

وبعد وفاة الملك اوفا تعرضت الوحدة الإنجليزية للخطر، وعادت الممالك للتفكك مرة أخري وخاصة أن خلفائه كانوا ضعاف , فقد تولي خلفا له ابنه إيجفرث الذي حاول أن يزوجه ابنة شارلمان برثا ، ولكن شارلمان رفض وقطع العلاقات مع الملك اوفا ، ومنع التجار الإنجليز من دخول موانى مملكته للتجارة , وكانت فترة حكم إيجفيرث أقل من خمسة شهور، وتولي خلفا له كينولف (٧٩٦-٨٢١م) قريبة من بعيد . وتأمر البابا وشارلمان ضده وعينوا بدلا منه إيردولف ، وتم قتله سنة ٨٢١م ، وعين بدلا منه كيولوف –Ceolwulf- الذي عزل سنة ٨٢٣م ، وتولي بدلا منه بيورنولف- Beornwulf – المجهول الأصل والنسب – كما هو متبع في تولي الملوك وانتسابهم إلي الإله أدون – وفي سنة ٨٢٥م هاجمه إيجبرت ملك وسكس[٢] .

والذي أختير ملكا بعد استدعائه من منفاه في بلاط شارلمان ، حيث كان أوفا قد نفاه من قبل فقضي سنوات من شبابه في بلاط الملك الفرنجي ، ثم عاد من جديد ليستعيد مملكته ويهزم المرسيين في معركة إيلا ندون (إيلليندون) -Ellendun- سنة ٨٢٥م ، وسيطرت وسكس علي الممالك الأنجلو سكسونية . وقد منحه النصر فرصه احتواء مرسيا والممالك التي حكمها المرسيون قبل كنت وسسكس وإيست أنجليا، كما دانت له نورثمبريا ، وأعتبر أول ملك يحكم إنجلترا [٣] . واعتبر مؤسسا لعهد القوة في هذه المملكة السكسونية ، وتولي بعد أيجبرت أبنه

1 - Laud, op. cit.,p.57 ; Parker, op. cit., p.56 ; E.H.D., Vol.1, pp.181-182 ; Stenton , p.224 , Mathew of Westminster , vol.1 , pp.382-383 ; Rroger of Hoveden, vol.1 , p.30 ; Roger of Wendover , vol.1, pp.166-167.

2 - Parker , op. cit., pp.67-70 ; Laud, op. cit., pp 57-79 .

3 - Trevelyan , op, cit., pp 67-70 ; Rayner , op. cit., pp. 11-15.

إيثلوف ، الذي قام بالعديد من الإصلاحات الهامة في إنجلترا وأبرزها العناية بالكنيسة الإنجليزية ، وتوطيد صلاتها بروما وقيامه بزيارة إلي روما حاجا مصطحبا معه ولده الفريد –Alfred- وهو في الرابعة من عمره ، فبارك البابا حجتهما وشملهما بكريم رعايته [١] .

وظلت مملكة وسكس قابضة علي زمام الأمور في الجزيرة ، حتي مجئ الغزو الداني من بلاده الدانمرك . لتبدأ صفحة جديدة من التاريخ الإنجليزي ، وهي الغزو الداني للسواحل الجنوبية الشرقية لإنجلترا سنة ٨٥١م [٢] .

المصادر والوثائق والمراجع الأجنبية

أولا : المصادر والوثائق الأجنبية :

- Barrow (G . W . S) & Edward (M .) ; Documents Medieval History, Vol. V , Suffolk, 1984.
- Bede ; Ecclesiastical History of The English Nation, Trans by. Potter, New york, 1955 .
- Bland & Tawny; Select Documents In English Economic History , London, 1956 .
- Brail (L .) & Blakeley (G. C .) Documents In English History, New york ,1975.
- Cantor (N .F .) ; The Medieval World 300 - 1300, second printing , New york, 1963 .
- Davis (H . W . C) ; Documents Europe From 800 To 1789, London, 1930.
- Evans (B . L .) ; A short History Of English Literature, New york, 1942.
- Henery Bettenson ; Documents Of Christian Church, London, 1944 .
- Matthew Paris ; English History The Year 1253-1273, Trans by J.A.Giles.3vols, London, 1853.
- Monmouth G.,The History of The kings of The Britain , Trans by Lewis Throop ,London, 1978.
- Ordericus (V .) ; Ecclesiastical History, Trans by . M . Chibnal1 , Cambridge, 1979 .

[1] - Painter ,op. cit., pp.91-92.

[٢] -نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، صـ٣٦-٤٦.

-Rogre De Hoveden, The Annals Comprising The History of England other Countries of Europe from A.d.732-1201 Trans from Latin Henry Riley 2voles, London, 1853 .
-Roger of Wendover , Flowers of History , Trans from Latin Giles G.A., 2voles, London, 1949.
-Rolles Series; The Chronicles and Memorialso Of Great Britain and Ireland During The Middle Ages, London, 1958.
- William of Malmesbury; Historia Novella, Trans .K.R. potter, Edinburgh , 1955 ..
- William of Potiers ; Gesta Cuillelm Ducis Normannorumet Regis Ang10rum , Trans. R. Fortville , Paris, 1952 .
- William of New burgh; Historia Rerum Anglicarum , In Chronicles of The Reigns of, William 1 , William 11 , Henrey 1 and Stephen, Trans by . Hewlett, 2 voles , R.S, 1884 1885.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Anne Savg ; The Anglo Saxon Chronicles (60-1145), London , 1831.
- Arthur (B. M. A.) ; Economic History of The British Isles, London 1935 .
- Brook (Z . N .) ; The English Church and Papacy From The Conquest to The Reign John, Cambridge, Press, 1939 .
- Brook (Z . N .) ; The Saxon and Norman Kings, Cambridge, 1936.
- The Cambridge Medieval History , Vol. V , Cambridge , 1926 .
- Coulton (M . A .) ; Medieval Panama The English Sconce From Conquest to Reformation , Vol. 1 , Press, 1949 .
- Coulton (M . A .) ; Social Life in Britain From The Conquest to The Reformation , Cambridge, Press 1918 .
- Cross (A . L .) ; A History of England and Greater Britain, New york 1921 .

- Cunningham (F. B . A .) ; English in Fluence on The United States, Cambridge, Press, 1916 .
- Davis (H. W . G .) ; England Under The Normans and Angevins , London, 1930 .
- Derry (T . K .) , Blount (C. H .) , Jarman (J . L .) , Carlisle (J . S.); Great Britain History From Earliest Times to The Present Day, oxford, Press, 1962 .
- Dietz ; Apolitical and Social History of England, New york 1937.

Loyn (e . d .) The Norman Conquest, New york ,1966.

- Esme(W.S.); The History of British Civilization London 1933 .
- Fliche (A .) ; Histoire Du Moy Enage , L Europe Occidental De 888 A 1125 , To Me 11 , Paris, 1930.
- Frederick (p .) , Maitland (F . W .) ; The History of English Law, Vol. 1 , Press ,1953.
- Fisher H.A.L ,A History of Europe , London, 1973.
- Johnson (p.); History of The English People, London, 1972 .
- Godwin Smith; History of England , New york, 1949 .
- Jones A.H.M, The Decline World, London, 1975.
- Hodgkin , The Hist. of English , Oxford, 1992.
- Hernchaw ; England in The Making , Vol. 1 , London, 1963 .
- Keith Feiling ; A history of England , From The Coming of The English to 1918 , London, 1950 .
- Kenneth (0 . M .) ; The Oxford History of Britain, New york, Press , 1983.
- Legge (M . D .) ; Anglo - Norman, in The Cloisters Upon Anglo Norman Literature, Press, 1950 .
- Lot F., The End of the Ancient World and begin of the Middle Ages, London , 1931.
- Lot F., Les Invasion Germaniums , Paris , 1930.
- Lipson (E .) ; The Economic History of England in The Middle Ages, Vol. 1 , London 1937.
- Mitchell (R . J .) , Leys (M . D . R.) ; History of English People London 1950 .

- Mowat (M . A .) ; A New History of Great Britain From The Roman Conquest to The Present Day, Press, 1926 .
- Peter (B .) , Brian (S .) ; Regional History of England The South East From A. D. 1000, London 1988 .
- Painter S., A history of the Middle Ages ,284- 1500, London, 1964.
- Petit (C . H .) Details ; The Feudal Monarchy in France and England, from the tenth to thirteenth, century, London, 1949 .
- Sayles (G.O.); The Mediaeval Foundion of England, press, 1950.
- Stanton (F . M .) ; English Feudalism 1066 - 1166, Oxford, press, 1932 .
- Stanton ; Anglo - Saxon England, press, 1943 .
- Soultar R., A short History of Med . Peoples , London , 1930.
- Trevelyan (G.M.); A shortened History of England , New York, 1942.
- Tyner ., Conise Hist. of English of Britain , London , 1939.
- Vinogradoff(P.); Villainage in England, Essays in English Mediaeval History, Oxford, Press, 1892.
- White lock (R . J .) ; The Beginning English Society The Anglo Saxon period, penguin Book, 1959.
- White (R. J .) ; The Horizon Concise History of England, New York,1971 .
- William Ashley; The Economic Organization of England, London 1933.
- William Hunt, Poole (M. A.) ; The Political History of England, Vol II , New York, 1920.
- Williamson & Others; English History From the Norman Conquest to The Wars of The Roses, London, 1899 .
- Wood ward (E. L .) ; History of England, London, 1947 .

ثالثا:- المراجع العربية والمعربة :-

-أدمون ديمولان : سر تقدم الأنجلو سكسون ، ترجمة فتحي زغلول ، مكتبة الرحمانية ، (القاهرة – ١٩٥٨م).

-إسامة ابراهيم حسيب : معركة هاستنجز ١٠٦٦م ،٦ ساعات فاصلة في تاريخ انجلترا وفرنسا ، المكتب العربي للمعارف ، ٢٠٠٧م .
-أ.ل فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ، ترجمة محمد مصطفي والسيد الباز العريني وإبراهيم العدوي ، القسم الثاني ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٥١م).
-أ. ل. رواس: التاريخ الإنجليزي ، مصطفي زياده، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م.
-ج.ج. كولتون : عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، ط٢ ، دار المعارف ، (الإسكندرية – ١٩٦٤م).
-جيمس دورتي: المجنا كارتا، ترجمة مصطفي طه حبيب، مراجعة ذكي نجيب محمود، الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م.
-جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطي ، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
-جورج زيدان : تاريخ إنجلترا ، ط١ ، مطبعة الهلال بالفجاله ، (القاهرة ١٨٩٩م) .
-جورج كاستلان : تاريخ الجيوش ، ترجمة كمال دسوقي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – ١٩٢٣م) .
-سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطي ، التاريخ السياسي ، جـ١ ، ط ٨ ، الأنجلو المصرية ، (القاهرة – ١٩٨٣م) .
-مصطفي الكناني: الغزو الجرماني للجزر البريطانية ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٢م.
-نظير حسان سعداوي : تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطي ، دار النهضة العربية ، (القاهرة – ١٩٥٨م).
- نورمان .ف. كانتور : التاريخ الوسيط ، قصة حضارة البداية والنهاية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القسم الثاني ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٨٦م).
- ول ديوانت: قصة الحضارة، م٣، ج٣، ترجمة محمد بدران، بيروت، ٢٠٠٠م.